المشرق

كانون الثاني ١٩٣١

ΔΙΔΑΧΗ ΤΩΝ ΔΩΔΕΚΑ ΑΠΟΣΤΟΛΩΝ

Διδαχὴ κυρίου διὰ τῶν δώδεκα ἀποστόλων τοῖς ἔθνεσιν

تعليم الرسل الاثني عشر

تعليم الرب للامم بواسطة الرسل الاثني عشر

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

المقدمة

ان الأثر الكتابي اليوناني المسمّى «ديدَاكِه» ، اي «تعليم» هو من اقدم الآثار الكتابية المسيحية المعروفة ، بعد اسفار العهد الجديد وقانون ايمان الرُسل .

في السنة ١٨٧٥ وقف على نسخة منه خطية المطران فيلوتاوس برينيوس ، متروبوليت نيقوميدية الارثذكسي ، وجدها في خزانة كتب دير القبر المقدس بالاستانة ، الخاضع لسلطة بطريرك اورشليم الارثذكسي . وكانت هذه النسخة قد نُقلت في السنة ١٦٨٠ من اورشليم الى الاستانة . الا انها الآن اعيدت الى

المكتبة البطريركية في القدس ، وهي موسومة بالعدد ٥٦ .

اما تاريخ كتابة هذه النسخة فهو سنة ١٠٥٦ ، كتبها لاون المسجّل. في السنة ١٨٨٣ ، نشرها بالطبع المطران المشار اليـه . ولم تكد تظهر هذه الطبعة حتى تهافت عليها العلماء ودرسوها ، ونقلوها الى اللغات المختلفة في جميع البلاد المسيحية وكتبوا عنها المقالات الواسعة ، لما لها من الاهمية العظمى. وقـد نُقلت ايضاً الى العربية ، وطبعت في مطبعة المقتطف بالقاهرة في السنة ١٨٨٦ .

لهذا الكتيّب عنوان مزدوج . ففي بدئه نجد هذا العنوان : « تعليم ربّنا المُلقَى للأمم بواسطة الرُسل الاثني عشر » . اما في آخر الكتاب قبل الفهرس فالعنوان هو : « تعليم الرسل الاثني عشر » فالعنوان الاول هو الحقيقي . امّا الثاني فهو مختصر الاول.

لا يُعرف مؤلف هذا الكتاب . والمظنون ان مؤلفه استفاد من تأليف سابق ادبي عنوانه « الطريقان» . كما استفاد منه غيره من المؤلفين في اوائل النصرانية . وكتاب « تعليم الرُسل » سبك كتاب الطريقين مع ما زادهُ عليه سبكاً محكماً متلائماً . الاّ ان هذا الرأي ليس بثبتٍ . كما انه لا يوجد دليل على ان كاتب الطريقين كان يهوديّاً.

وما عدا النصّ اليوناني الذي طُبع في السنة ١٨٨٣ ، وُجدت ايضاً في خزانة كتب مدينة مِلْك (Melk) غربي ڤيَنّا بالنمسة ، نسخة خطية لجزء من تعليم الرسل في اللاتينية ، عنوانه « الطريقان » . وترتقي هذه النسخة الى القرن التاسع او العاشر للمسيح . وقد عُني العلّامة فونك بنشر هذه الترجمة اللاتينية بالطبع[1] . كما ان العلّامة شلخت (Schlecht) نشر بالطبع نسخة خطية لاتينية قديمة من تعليم الرسل عنوانها «الطريقان» وجدها في مكتبة مونيخ[1] واكتشف ايضاً العلامة ازلين (Iselin) ترجمة عربية قديمة تحتوي الفصول الستة الاولى من « تعليم الرُسل »[2] وهذه الفصول هي الطريقان.

(١ Fribourg, *1900, in-8°*

(٢ *Texte und Untersuch. t. XIII. 1.* Leipzig. 1895.

يُقسم تعليم الرُسل الى ثلاثة اقسام . فموضوع الفصول الستة الاولى ادبي يعلّم الموعوظين المستعدّين للعماد ما يلزمهم ان يعلموه ويعملوه او يتجنبوه. نعلم انه موجه للموعوظين لانه في الفصل ٧ : ١ نقرأ : « عمّدوا بعد ان تقولوا قبلًا كل هذه الامور » اي بعد ان تبيّنوا للموعوظين كل مـا ورد في الفصول الستة الاولى.

والقسم الثاني ، من الفصل السابع الى العاشر ، يحتوي على الليتورجية ، اي ما يختصّ بالعماد ، والافخارستيا ، والصلاة .

والقسم الثالث ، من الفصل الحادي عشر الى الخامس عشر ، يتكلم عن نظام الجماعة المسيحية ويذكر رؤساءها من رسل وانبياء ومعلمين واساقفة وشمامسة .

والفصل السادس عشر هو الختام ، فيحرّض على السهر وانتظار مجيء الرب ، ويصف ملك المسيح الدجّال ، ومجيء الرب على سحب السماء .

كان هذا الاثر الكتابي جزيل الاعتبار عند الاقدمين حتى ان بعضهم احصوه بين الكتب المنزلة . فاقليميس الاسكندري يؤكد صريحاً وجود هذا الكتاب ؛ لانه ليس فقط يقتبس منه كثيرًا من الآيات ، لكنه في كتابه المعنون « ستروماتا » يذكر الآية ٥ من الفصل ٣ من تعليم الرسل « يا بُني لا تكن كذاباً لان الكذب يقود الى السرقة » وينسب هذه الآية الى الكتاب المقدس γραφή[1] « الكتاب »

اما اوسابيوس المؤرخ فانه يذكر تعليم الرسل بين الكتب غير القانونية[2] .

والقديس اثناسيوس يذكر تعليم الرسل بين الكتب المستعملة في تعليم الموعوظين ويسميه « التعليم المدعو تعليم الرسل » . وهو بعد ان يعدّد اسفار الكتاب المقدس التي كانت الكنيسة في ايامه تقبلها كقانونية ، يقول : « ما عدا هذه الاسفار توجد غيرها لم تُحدّد انها قانونية . ويرى الآباء انه يمكن قراءتها للذين يرغبون في اكتساب العلم والتقوى . وهذه الاسفار هي حكمة سليمان ، وحكمة

١) مجموعة مين للآباء اليونان ، المجلد ٨ ، العمود ٨١٧ .

٢) مجموعة مين للآباء اليونان ، المجلد ٢٠ ، العمود ٢٦٩ .

ابن سيراخ ، واستير ، ويهوديت ، وطوبيا ، وما يسمّى تعليم الرسل ، والراعي»[1].
وجدير بالاعتبار ان اثناسيوس يميّز هـذه الاسفار عن الكتب الابوكريف التي ينسبها الى الهراطقة المُضلّين ويحرّم قراءتها.

ان بعض العلماء المحدثين الذين تكلموا عن هذا الاثر الكتابي النفيس عيّنوا لكتابته السنة ١٣٥ للمسيح. وبعضهم ارتأى انه وُضع في اوائل القرن الثاني للمسيح. والمطران بريينيوس يقول ان رسالة برنابا وكتاب الراعي هرماس سبقا تعليم الرسل ، ويعين لظهوره الزمن ما بين ١٢٠ و١٦٠ للمسيح. وهذا هو ايضاً رأي هرناك . اما العلامة فونك ومثله زهن ، وشاف ، ولايتفوت ، وسباتيه ، ودون كابرول ، فانهم يعطون السبق لكتاب تعليم الرسل ويعينون لزمان تأليفه اواخر القرن الاول للمسيح ، اي بين السنتين ٧٠و٩٠ ، لا قبلًا ، يتضح ذلك من مضمون الفصول ٧ و ٩ و ١٠ و ١:١٥ و ١١ :٣ ؛ قلنا لا قبلًا لانّ مؤلفه يعرف انجيل متى ، وانجيل لوقا ، وبعض رسائل الرسل ، خاصةً رسالة بولس الى الرومانيين والى الكورنتيين ورسالة بطرس ، لاننا نراه يشير الى هذه الاسفار من العهد الجديد (راجع ١:٢ـــ٥ و ٢:٢و٣ و١:٥ و ٢ و١:٧ و ٣ و ٢:٨ و ٥:١٠ و ٦ و ٧:١١ و ١:١٢ و ١:١٣ و ١:١٦ و ٥ و ٦ و ٨ .

ومما دار البحث عنه بين العلماء بخصوص تعليم الرسل شخصية مؤلفه وهل كان من المرتدين الى الدين المسيحي من الوثنية ام من اليهودية. فارتأى العلامة فونك انه كان من المرتدّين من اليهوديـة ، لانه يذكر ما كان محرّماً اكله في العهد القديم ولا يستثني الّا اكل ما قُدّم للاوثان (٦ :٥) ولانّه يطعن بالمرائين اي الفريسيين اذ انه كان عاشرهم وعرفهم . او اقلّه كان المؤلف عائشاً

---

١) مجموعة مين للآباء اليونان ، المجلد ٢٦ العمود ١٤٣٧ . امّا قوله : «لم تُحدد انها قانونية» فلانه في زمن القديس اثناسيوس لم تكن الكنيسة اثبتت قانونية هذه الكتب كما اثبتتها فيما بعد ، مع رفض قانونية كتاب تعليم الرسل وكتاب الراعي هرماس. الا ان اقوال الاقدمين تبين اهمّية هذين الكتابين ، وان غير قانونيين ، حيث يضمّونها الى الكتب التي صرّحت الكنيسة فيما بعد بقانونيتها .

بين المسيحيين المرتدّين من اليهودية .

وبحث ايضاً العلماء عن البلاد التي كتب فيها تعليم الرسل . فقال بعضهم انه كُتب في مصر . ولكن ينفي هذا القول ما جاء في الفصل ٩ الآية ٤ عن الخبز المجموع من الحنطة المنتثرة في الجبال . ومعلوم انه لا جبال في اراضي مصر تُنبت الحنطة . وقال البعض انه كُتب في فلسطين . ويوافق هذا الرأي ما ورد في الفصل ٨ عن الفريسيين المرائين ، لان المؤلف يظهر انه عاش بينهم وعرفهم . وقال آخرون ان تعليم الرسل كُتب في سورية يؤيد هذا القول اولاً لفظة « المسيحي » التي وردت في الآية ٤ من الفصل ١٢ وقد استعملت هذه اللفظة لاول مرة في انطاكية ثانياً العبارة التي تنتهي بها الصلاة الربية « لان لك القوة والمجد الى الابد » ، وهذه العبارة استُعملت عند السريان . وفي ايامنا يختم السريان الكاثوليك الصلاة الربية بقولهم : « لأن لك المُلك والقوّة والتسبحة الى ابد الابدين . امين » . اما السريان اليعاقبة فيقولون : « لان لك الملك والقوة والمجد الى ابد الابدين . امين » وفي الطقس البيزنطي : « لانّ لك هو الملك والقوة والمجد . . . » .

ومهما يكن من حقيقة مؤلفه ، والمكان الذي كتب فيه تعليم الرسل ، فانه يُلقي على اوائل الكنيسة المسيحية نوراً ساطعاً يظهرها لنا كما كانت في تعليمها وسلوكها وطقوسها ورؤسائها ونظامها ، فنعرفها ونعتبرها ونحبّها ونتمسك بها ، فينتعش ايماننا .

نقلنا هذا الاثر المهمّ الى العربية عن نسخة يونانية لتعليم الرُسل ، كان عُني بطبعها ثانيةً في السنة ١٩١٠ الاب كايتانو رومانو اليسوعي ، والحقها بالترجمة اليونانية الحديثة ، وبالترجمات اللاتينية ، والايطالية ، والفرنسية . وعن طبعة العلّامة فرنسيس كسفاريوس فونك في كتابه « الآباء الرسوليون » ١٩٠١ ، وقد بحث بحثاً واسعاً في كل ما تهمّ معرفته من هذا الاثر النفيس « تعليم الرسل الاثني عشر » .

تعليم الرسل الاثني عشر

تعليم الرب للامم بواسطة الرسل الاثني عشر

١

١ يوجد طريقان واحدة للحياة وواحدة للموت[1] . ألّا ان الفرق بين
الطريقين عظيم . ٢ امّا طريق الحياة فهي اولًا ان تحبّ الله خالقك . ثم
قريبك كنفسك[2] . اخيرًا ان لا تصنع بالغير ما لا تُريد ان يصنعه الغير بك[3] .
٣ ان تعليم هذه الاقوال هو : باركوا لاعنيكم وصلّوا لاجل اعدائكم .
صوموا لاجل مضطهديكم لانه ايّ فضل لكم ان احببتم من يحبّكم ، أليس
الامم هكذا تعمل ؟ امّا انتم فأحبّوا من يبغضكم ولا يكون لكم
عدوّ[4] . ٤ امتنعوا عن الشهوات اللحمية والجسدية[5] . ان لطمك احد على
الخدّ الايمن فحوّل له الآخر ، فتكون كاملًا . ان سخّرك احد ميلًا فامشِ
معه ميلين . ان نزع احد ثوبك فاعطهِ ايضاً رداءك . ان نزع احد منك ما هو
لك فلا تطالبه[6] . لانك لا تقدر[7] . ٥ كلُّ مَن سألك فأعطه ولا تطالبه

---

١) يراد بالطريق نوع حياة الانسان وسلوكه . « قال الربّ هاءنذا اجعل امامكم طريق الحياة وطريق الموت » (ارميا ٢١ : ٨) . « ادخلوا من الباب الضيّق لانه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي الى الهلاك والداخلون فيه كثيرون . ما اضيق الباب واحرج الطريق الذي يؤدي الى الحياة وقليلون الذين يجدونه » (متى ٧ : ١٣ و١٤)

٢) متى ٢٢ : ٣٧-٣٩ ومرقس ١٢ : ٣٠ و٣١

٣) متى ٧ : ١٢ ولوقا ٦ : ٣١ : « كلّ ما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوه انتم بهم . فان هذا هو الناموس والانبياء »

٤) متى ٥ : ٤٤ و٤٦

٥) يُريد بهاتين اللفظتين ان يُميت كل شهوات الطبيعة الفاسدة

٦) متى ٥ : ٣٩ و ٤٠ و ٤٢ لوقا ٦ : ٣٢ و٣٣

٧) اي لا تقدر ان تفوز بحقّك بدون مخاصمة او بدون ان تلتجئ الى المحاكمة . الامر الذي لا يليق بالمسيحي كما قال الرسول : « أيجترئ المرء فيكم اذا كانت له دعوى على آخر ان يحاكمه لدى الظالمين لا لدى القديسين » (١ كور ٦ : ١)

لانَّ الآبَ يريد ان نُعطي الجميع من مواهبه. طوبى لمن يعطي حسب الوصية فانّه بلا لوم . الويل لمن يقبل لانه ان قبل احد وكان محتاجاً كان بريئاً . امّا من يقبل من غير حاجة فانّه سيؤدّي حساباً لماذا قبل ولأيّة غاية . وسيكون في القيود ويُسأل عمّا فعل ولا يخرج من هناك حتى يؤدّي آخر فلس[1] . ٦ وقد قيل ايضاً في هذا الموضوع : لتعرق صدقتك في يديك الى ان تعرف لمن تُعطيها[2]

٢

١ وصية التعليم الثانية[3] ٢ لا تقتل ، لا تزنِ ، لا تفسد الصبيان ، لا تفسق ، لا تسرق ، لا تعمل سحراً ، لا تدُف سمّاً ، لا تقتل جنيناً في البطن ، لا تقتل طفلاً مولوداً ، لا تشتهِ ما هو لقريبك . ٣ لا تحنث ، لا تشهد بالزور ، لا تسبّ ، لا تتذكّر ما لحق بك من الاهانة . ٤ لا تكن ذا وجهين ولا ذا لسانين ، لانّ اللسان المزدوج هو فخّ الموت . ٥ لا يكن حديثك كاذباً ولا باطلاً ، بل ممتلئاً عملاً . ٦ لا تكن حريصاً ، ولا خاطفاً ، ولا مرائياً ، ولا شرّيراً ، ولا متكبّراً ، ولا تنوِ سوءاً لقريبك . ٧ لا تبغض

١) متى ٥ : ٢٦

٢) معنى هذه العبارة غير واضح . لعلّه يريد ان لا نُسرع في منح الصدقة بل نتأنّى الى ان نعرف من يستحقّها بسبب احتياجه . او انه يريد ان نتعب ونكدّ لنحصل على ما يسهّل لنا اعطاء الصدقة .

٣) في هذا الفصل نجد شرح الجزء الثاني من الوصية « احبب قريبك كنفسك » . فانه في الجزء الاوّل اوصى بمحبة الله وفي الجزء الثاني اوصى بمحبة القريب . وجدير بالاعتبار انه في الجزء الاول اورد ما هو بالايجاب اي بصنع الخير مع القريب حسبما ورد في رسالة يوحنا الاولى (٤ : ٢١) : « من احبّ الله فليُحبب اخاهُ ايضاً » . امّا في الجزء الثاني فقد سلك بالسلب اي انه اوصى بالامتناع عمّا يضرّ بالقريب . كما فعل بولس الرسول في رسالته الى الرومانيين (١٣ : ٩) : « ان هذه الوصية لا تزنِ ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تشتهِ ، وما كان من الوصايا غير ذلك ، انّما هي متضمنة في هذه الكلمة ان احبب قريبك كنفسك » .

احدًا ، بل وبّخ هؤلاء ، وصلِّ لاجل أولئك ، واحبب غيرك اكثر من نفسك .

٣

١ يا بُنيّ اهرب من كل شرّ ومن كل ما يشبهه . ٢ لا تكن غضوباً لان الغضب يقود الى القتل ، ولا حادّ الطبع ولا خصوماً ولا شرساً لانه من كل هذا يتولّد القتل . ٣ يا بُنيّ لا تُطع الشهوة لانها تقود الى الزنى ، ولا تكن فاحش الكلام ، ولا ترفع عينيك بجرّية مفرطة لانه من كل هذا تتولد انواع الزنى . ٤ يا بُنيّ لا تكن متطيّرًا لانّ ذلك يقود الى الوثنيّة ، ولا راقياً ولا منجماً ولا ساحرًا ولا ترضَ النظر الى هذه الاعمال لانه منها جميعها تتولّد الوثنيّة . ٥ يا بُنيّ لا تكن كذّاباً لان الكذب يقود الى السرقة ، ولا تكن راغباً في المال وفي المجد الباطل لانه من هذه كلّها تتولّد السرقات . ٦ يا بُنيّ لا تكن متذمّرًا لانّ التذمّر يقود الى التجديف ، ولا متعجرفاً ولا سيّئ الظنّ لانه من كل هذه تتولّد التجاديف . ٧ بل كن وديعاً لان الودعاء يرثون الارض[1] ٨ كن صبورًا ، رحيماً ، صادقاً ، مسالماً ، صالحاً ، وراهباً دائماً الكلام الذي وُعظتَ به . ٩ لا ترفع ذاتك ، ولا تُسلم ذاتك الوقاحة . لا تعاشر المتكبرين ، بل ليكن تردّدك على الابرار والمتواضعين . ١٠ كلّ ما يحدث لك اقبله كانه خير لك عالماً بانه لا يحدث شيء بدون الله .

٤

١ يا بُنيّ اذكر ليلاً ونهارًا من يكلمك بكلام الله . خفه كالرب لانه حيث تكون السلطة فهناك الربّ . ٢ اطلب كلّ يوم لقاء القديسين لكي ترتاح الى جديثهم . ٣ لا تسبّب انشقاقاً لكن اسعَ في مصالحة المتخاصمين .

١) متى ٥ : ٤

الحكم بالعدل، وفي التوبيخ على الزّلات لا تنظر الى وجوه الناس. ٤ لا تكن مرتاباً في هل يكون الشيء. ام لا[١].

٥ لا تمدّ يدك للأخذ وتقبضها عند العطاء. ٦ أعط ممّا عندك من تعب يديك كفّارةً عن خطاياك. ٧ لا تتردّد في العطاء. ولا تتذمّر فسوف تعلم من هو المكافئ الصالح. ٨ لا تصرف وجهك عن المحتاج، بل اشرك اخاك بخيراتك. ولا تقل عن خير انه خاصّ لك لأنّه ان كنتم شركاء في الخيرات الابدية فانتم بالاولى شركاء في الزمنية.

٩ لا ترفع يدك عن ابنك ولا عن ابنتك، بل من طفولتهم علّمهم مخافة الله. ١٠ لا تأمر بمرارة نفسك عبدك او أمتك اللذين يرجوان معك الاله ذاته حذرًا من ان لا يهابا الاله المتسلّط عليهما. لأنه لم يأتِ ليدعو الناس محاباةً للوجوه، بل اتى ليدعو الذين اعدّهم الروح. ١١ اما انتم ايها العبيد فاخضعوا لسادتكم باحترام وخوف خضوعكم لصورة الربّ[٢].

١٢ ابغض كلّ رياء. وكل ما يسوء الربّ. ١٣ لا تترك وصايا الربّ بل احفظ كل ما قبلته بدون زيادة ولا نقصان. ١٤ اعترف بخطاياك في جماعة المؤمنين[٣]. ولا تقدُم على الصلاة بضمير اثيم[٤].

هذه هي طريق الحياة

(للبحث صلة)

١) لا يوضّح في اي شيء يلزم ان لا نرتاب. الا ان الراعي هرماس (الوصية ٩ الاعداد ١–٨) يبين ان الكلام عن الصلاة حسب قول المسيح (مرقس ١١: ٢٤): «كلّ ما تسألونه في الصلاة فآمنوا بانكم تنالونه فيكون لكم». (راجع متى ٢١: ٢٢)

٢) افسس ٦: ٥ كولوسي ٣: ٢٢ تيطس ٢: ٩ ١ بطرس ٢: ١٨

٣) يعقوب ٥: ١٦ ٤) عبرانيين ١٠: ٢٢

من آثارنا الدفينة

مدينة افامية واهمية اطلالها

نتيجة حفريات البعثة البلجيكية

بقلم فؤاد افرام البستاني

انسنا ، في الشهر الماضي ، بلقاء الاثري البلجيكي المشهور ، الاستاذ فرنان مايانس (Mayence) ـ من جامعة لوفان ، رئيس البعثة البلجيكية للحفر في افامية ، وامين متاحف الفنّ والتاريخ الملكية في بروسل ؛ وكان عائدًا من مركز حفرياته في موقع افامية ، فحدّثنا عن نتائج اعماله حتى الآن وعن قيمة مكتشفاته ، فرأينا ان ننقل الى قرائنا الكرام هذه المعلومات القيّمة مع مقدّمة تاريخية ، شاكرين للاستاذ الفاضل تلطّفه ، متمنين له تمام النجاح في اعماله كلّها

على نحو خمسين كيلومترًا من شمال حماة الغربي ، قرب ضفة العاصي الشرقية ، يرى المسافر في يومنا خرائب خالية وحجارة ضخمة مبعثرة او متراكمة ، منتشرة قرب قرية هناك بُنيت ضمن قلعة عربية قديمة فدعيت « قلعة المضيق » . تلك هي آثار مدينة مشهورة في تاريخ سورية القديم ، عرفها المؤرخون قبل السلوقيين باسم پيلا ، وبعدهم باسم افامية ، ثم عرفها العرب والصليبيون باسم افامية وفامية .

دُعيت المدينة پيلا (Pella) على عهد المقدونيين ، باسم مدينة في مقدونية كانت عاصمة فيلبوس ، وفيها وُلد الاسكندر الكبير[1] . وعلى اثر وفاة هذا الفاتح العظيم ، تقاسم قوّاده الامبراطورية ، فكانت مقاطعات سورية والعراق وارمينية وما جاورها من نصيب سلوقوس ، الذي عُرف في ما بعد بلقب

---

١) ولم يبقَ منها اليوم الا بعض خرائب قرب قرية ينيجي من اعمال سالونيك .

« نيقاطور »[١] ومعناه « المنصور » ، فأسس الدولة السلوقية ، وانشأ المدن الكثيرة . وكان ان احتاج الى معسكر في نواحي العاصي ، ومستودع للخيول والمؤن والذخائر ، فكبّر مدينة پيلا المذكورة وجمّلها ، وغيّر اسمها فسماها أفامية[٢] باسم امرأته . وازدهرت المدينة ازدهاراً عجيباً على ما يظهر حتى عُدّت احدى المدن الاربع الكبيرة في مقاطعة سلوقية او سورية الغربية وهي: سلوقية ، وانطاكية ، واللاذقية ، وافامية هذه .

ويُستخلص من بعض الآثار والاشارات التاريخية ان المدينة ظلّت على ازدهارها في عهد الرومانيين قبل المسيح وبعده ، وكانت مركز اسقفية .

وفي اواسط القرن السادس ، اثناء الحروب الشديدة بين الامبراطور

---

١) كان سلوقوس من افضل قوّاد الاسكندر ، وكان قائد الخيّالة الملكية على اثر وفاة سيده . فاحتلّ ما كان تحت يده من المقاطعات واعلن استقلاله فيها . وعلى اثر منازعات يطول شرحها مع منافسيه من القوّاد والامراء ، ولاسيما أنتيغون ، أخذ يبسط نفوذه ويكتسح البلاد ، حتى احتلّ ما بين الفرات ونهر السند ، واتخذ لقب ملك سنة ٣٠٧ ق . م . مؤسس الدولة السلوقية . وبعد معركة ابسوس ، التي قُتل فيها منازعه انتيغون ، اضاف الى بلاده مقاطعات سورية والعراق وارمينية وفريجية (٣٠١) . ثم أسس على العاصي مدينة انطاكية سنة ٢٩٩ ق . م . وجعلها عاصمة ملكه . ولم يزل يواصل الحروب والفتوحات حتى بسط نفوذه على اكثر مقاطعات امبراطورية الاسكندر ، وسنة ٢٨٣ ق . م . نادى بنفسه ملكاً على مقدونية وتراقية وآسية الصغرى ، فحياه الناس بلقب «نيقاطور» اي المنصور . ولكن لم يمض عليه ثلاث سنوات في ذلك العزّ حتى اغتاله المدعوّ بطلميوس كيرونوس سنة ٢٨٠ ق . م .

٢) أسّس سلوقوس عدة مدن باسم امرأته أفامية منها واحدة ما بين النهرين على ضفة الفرات اليسرى ، مقابل زغمة ، تُدعى اليوم روم - قلعة .

ومنها واحدة قرب ينابيع نهر المياندر ، على حدود پزيدية اسمها اليوم آيدين گوزل حصار .

وذكر ياقوت ، عن يحيى بن جرير المتطبّب ، ان « سلوقوس بنى في السنة السادسة من موت الاسكندر اللاذقية وسلوقية وأفامية وباروّا وهي حلب» (ياقوت : معجم البلدان-طبعة Wüstenfeld – ١ : ٣٢٣)ولا نعلم اي افامية اراد . ولعلها التي يهمّنا امرها الآن اذ انه يورد ذلك بعد ان يقول : « افامية : مدينة حصينة من سواحل الشام ، وكورة من كور حمص » (١ : ٣٢٢)

وهناك عدة مدن تُدعى باسم أفامية ، ولكنها لا تمتّ بشيء الى سلوقوس نيقاطور .

يوستنيانوس وكسرى انو شروان ، دخلها هذا سنة ٥٤٠ ، وعاث جيشه فيها .

وسنة ١٧ للهجرة (٦٣٨ م .) زحف عليها ابو عبيدة بعد ان افتتح شيزر ، فتلقاه اهلها بالصلح ، فصالحهم على الجزية والخراج[1] . ولم يبقَ لها بعد ذاك من ذكر مهمّ في التاريخ سوى انها وردت في الشعر العربي تارة باسم افامية ، كما في قول ابي العلاء المعرّي :

ولولاك لم تسلم افامية الردى

وطوراً باسم فامية ، كما في قول عيسى بن سعدان الحلبي :

ما مَرّ برقك مجتازاً على بصري ... الّا وذكّرني الدارين من حلبِ
ليت الرواسم من شرقيّ فاميةٍ ... اهدت اليّ نسيمَ البانِ والغرَبِ
ما كان اطيبَ ايامي بقربهم ... حتى رمتني عوادي الدهر من كَثَبِ

وقد ذكرها ياقوت بالاسمين: أفامية وفامية[2] . وعرفها الصليبيون ايضاً بهذا الاسم الاخير فدعوها « Famich »

وفي سنة ١١٥٢ ، حصل زلزلة قوية هدّت مبانيها ، وقضت اركانها ، فحوّلت صروحها الجميلة الى كوم متراكمة من الحجارة . ثم لعبت بها ايدي الحدثان ، فنقل العرب كثيراً من آثار تلك الصروح حتى بنوا قلعة المضيق ، وهي قائمة في غربيها على تلّ مرتفع يُشرف من جهة الشرق على انقاض المدينة في سهل فسيح ، ومن جهة الغرب على نهر العاصي . وكذلك بُني بحجارتها الخان الكبير الذي ينزله المسافر الى تلك الجهات في سفح التل المذكور . ولا شك ان هذا التل كان، في ما سلف ، متصلاً بأفامية التي تراكم التراب على معالمها فدفنها ، ومحا النسيان ذكرها او كاد ، حتى قيّض الله لها همّة الاستاذ ميّانس ناتيل يحفر في ترابها حتى اكتشف آثارها ، فاعاد الى نور التاريخ ذكرى مدينة عظيمة تفتخر بها سورية ، فنشكر للاستاذ جدّه ونشاطه .

* * *

في مستهلّ القرن الخالي ، مرّت من تلك الجهات بعثة أثرية أميركية ،

---

١) ياقوت ١ : ٣٢٢ – والبلاذري: فتوح البلدان – طبعة de Goeje – ص ١٣١

٢) راجع معجم البلدان – طبعة Wüstenfeld – ١ : ٣٢٢ و ٣ : ٨٤٦

فاستوقفها مشهد تلك الخرائب ، ففحصتها . ألا انهـا كانت مستعجلة ، على ما يظهر ، فلم تحفر بل اكتفت بما شاهدته على وجه الثرى،وهو اقلّ من القليل بالنسبة الى ما حُفظ مطموراً ، فكتبت عنه الشيء النزر ، ورسمت لبعض المباني القديمة رسوماً ظهرت اليوم ناقصة كل النقص ، بل معاكسة للحقيقـة احياناً ، وما ذاك الا لانها مبنية على الظاهر من الاطلال فقط . ولم يتبع هـذا العمل شيء من الاهتمام في الاوساط العلمية ، فبقيت تلك الخرائب لا يقف عندها الا بدو سورية الشمالية ، ولا يهتمّ بها ألّا من تروقهم بعض احجارها فيستلوهـا لبناياتهم الخاصّة . حتى قدم ، لبضع سنوات خلت ، الاثري البلجيكي الكبير الاستاذ كومون(Cumont) ، فقام بالحفريات في الصالحية على شاطئ الفرات، وهي الحفريات المعروفة في موقع دورا ـ اوروبوس والتي لا تزال متتابعة بمعاونة جامعة ييل(Yale) . فكان ان الاستاذ كومون ، عند عودته ، مرّ بافامية فشاهد خرائبها ، ولفت نظره اتساع محيط اطلالها . ولما لم يكن لبلجكة بعثـات علمية في الشرق ، خطر على باله ان يعرض عليها القيام بهـذا العمل . فقابل الاستاذ مايانس وسأله هل يوافق على تأليف بعثة تأتي بادارته الى سورية فتجري الحفريات في موقع أفامية ؟

فارتاح الاستاذ مايانس للمشروع كل ارتيـاح . واتى بلادنا سنة ١٩٢٨ للتحقيق والاستكشاف . وما هو ان صرف بضعة اسابيع في جهات افامية ، حتى حصل على ما كان يرغب فيـه من درس الموقع وطرق اجراء الحفريات ، فعاد الى بلجكة ورفع تقريراً ضافياً بذلك الى لجنة « الاعتماد الوطني للابحاث العلمية «*Fond national des Recherches scientifiques*»، وهي موسسة غايتها تعزيز الدروس والابحاث العلمية على اختلاف انواعها تعزيزاً فعالاً بالرجال وبالمال. فاهتمت بتقرير الاستاذ ، وقررت ان تشارك الحكومة البلجيكيـة بامداد البعثة بكل ما تحتاج اليه في اعمالها . فلم يبقَ اذاً ألّا تأليف هذه البعثة ومباشرة العمل . فألفت هيئة عالية دُعيت « لجنة البحث والحفريات في أفامية» قوامها اساتذة من الجامعات البلجيكية الاربع،والاستاذ رينه دوسو(Dussaud) الاثري الفرنسي الخبير بآثار سورية . وتلطف صاحب الجلالة ملك البلجيكيين

وملكتهم فشرفًا اللجنة برعـايتها . وفي الخريف الماضي وصـل الى مركز الحفريات الاستاذ مايانس وبمعيته المهندس لاكوست من مجمع الفنون البلجيكي وبعض الرجال، فباشروا اعمال الحفر التي شغلوا فيها مائة عامل مدة سبعة أسابيع متوالية (انظر الرسمين ١ و ٢) . واوقفت البعثة اعمالها في اواخر تشرين الثاني بسبب رداءة الطقس، وصرفت عمّالها على ان تستأنف الشغل في الخريف القادم. وقد وجدت عقبات كثيرة في نقل موادّ الحفر لتعذّر المواصلات ، كما انها قاست كثيراً من صعوبة المعيشة في الخيام لما كان يطرأ من تقلّبات الجوّ في تلك الانحاء. ولا نزال نذكر وصف الاستاذ مايانس ليلة هبّت فيها العواصف وتراكمت الامطار ، ثم اشتدّت الزوبعة فقلبت المضارب ورمت في الاوحال كلّ مـا كان جمعه من معلومات، وتخطيطات ، ورسوم، وقوالب صور، حتى خُيّل اليه ان اتعابه كلها ذهبت دون جدوى — وكان ذلك بعد انتهاء الحفريات — وانه لا بدّ من مراجعة الاعمال من اولها. قال الاستاذ هذا ، واخرج مفكرته فارانا مـا كان لا يزال عليها من اثر الاوحال كما انه ارانا التخطيطات والرسوم الملطّخة، وقال: « وهذا ايضاً من الذكريات الجميلة التي نحملها من ارض افامية . » فضحكنا . فقال ضاحكاً: « اننا نضحك اليوم لهذا التذكار، ولكني كنت جدّ بعيد عن الضحك في تلك الايام الشديدة اذ رأيت ثمرة جهودنا مطروحة في الوحول وقد تراكمت فوقها امتعتنا ، فخلت ان رسومنا تعطلت وقوالب صورنا تكسّرت كلها ؛ وداخلني أسف عميق لا يعادله الّا فرحي بوجودها كلها سالمة . » فاكبرنا هذه العاطفة في الاستاذ ، وادركنا ما يقاسيه رجال العلم في سبيل علمهم .

اما ما كشفت الحفريات عنه فآثار عديدة امكن بمجموعها من تخطيط المدينة، ورسم شارعها الأعظم ، وبعض مبانيها ، وكشف طريقة توزيع المياه فيها ، مع الاطلاع على بعض الآثار الخاصة بالمعتقدات والعادات . وممـا افاد البعثة في توجيه حفرياتها خارطة جوّية أُخـذت من احدى الطيّـارات ، فشملت جميع الاطلال ، ومكنت المهندس من القاء نظرة اجمالية على المدينة بكاملهـا . فاستند الى تلك الخارطة من جهة ، والى الحفريات من جهة أخرى ، وتمكن من تخطيط المدينة ، واذا هي تظهر على شكل اهليلجي يستطيـل من الشمال الى

الجنوب ، ويتصل من جهة الغرب بالتلّ القائمة عليه اليوم « قلعة المضيق » ببنائها الجميل الذي أُخذت اكثر حجارته من خرائب أفامية . ويرى القارئ ، في الرسم ٣ ، آثار الباب الشمالي للمدينة . وهو مدخل الجادّة الكبرى التي كانت تكتنفها الاعمدة الضخمة على طول ١٦٠٠ متر فتقسم المدينة في وسطها الى قسمين من الشمال الى الجنوب.

وهذه الاعمدة تؤلف ، مع الصرح الآتي ذكره ، أهم مكتشفات البعثة . وهي تقوم منتشرة على جانبي الجادة ، كما تنتشر الاشجار في عصرنا على ارصفة الشوارع الكبرى ، ولم يكن يظهر قبل الحفر الا رؤوسها او حلقات منها فكان يظنها بعض الزوّار آساسها . اما قطر العمود منها فيبلغ ١٢٠ سنتيمترًا.

وهنا ايضاً يعود الفضل الجزيل في توجيه الحفريات للصورة الجوية ، وكانت تظهر فيها آثار تلك الاعمدة على شكل رؤوس الدبابيس بيضاء متسلسلة من اول المدينة الى آخرها . فلم يكن على مدير الاشغال الّا تتبعها ، فتتبعها وبالغ بالحفر حتى وصل الى قواعدها .

اما هذه القواعد فكانت مطمورة بعضها على عمق ٣ امتار ، واكثرها على عمق سبعة امتار ونصف المتر . وقد حفرت الخنادق الواسعة حتى كشف عنها ، كما يرى في الرسم ٤ ، فاذا هي مزخرفة بنقوش لطيفة على شكل اوراق اللبلاب (*lierre*) والكنكر (*acanthe*) المعروفة (انظر الرسم ٦) . وما زال الحفر متواصلًا خارج الجادّة مما يلي العواميد حتى كشف عن الحائط الاقصى . ويبلغ عدد العواميد الالف ، على صفين متقابلين طول الجادة ، بين العمود والآخر ٣ امتار ، الّا عندما تنفرج الاعمدة فتخلي المكان لطريق آخر ، فتتألف ساحة في المفرق ؛ وعندما تنفرج امام واجهة الصرح الكبير الذي أشرنا اليه ، القائم على اعمدة تشابه السابقة ، الا انها ارفع لا يزيد قطرها عن ٨٠ سنتيمترًا. وهو من اجدر الآثار بالاهتمام لما بدا في هندسته الرومانية ، واسلوب بنائه ، من المزايا التي تخالف كل ما يُعرف من نوعها حتى اليوم ، وقد تمكنت البعثة، بواسطة ما اطلعت عليه من الموادّ ، من اعادة رسم هذا الاثر الفخم بكل ما يمكن من الدقة العلمية الخالية من تأثيرات الخيال والوهم . الا انها لم تتمكن

من معرفة غاية هذا البناء وهل كان معبداً، ام قصراً خاصاً ، ام مركز ادارة او حكومة . ولعلها تتوصل الى ذلك بعد تفريغ الارض حول انقاضه.

وعلى ملتقى الطرق وجدت أثراً آخر يقوم بقاعدة كبيرة مزخرفة بنقوش دقيقة الصنع ، فوقها عمود كورنثي كان يجب ان يكون عليه تمثال الا انه فُقد لسوء الحظ . وقد تمكنت البعثة من اعادة رسم هذا الأثر ايضاً .

ومن الآثار المكتشفة انقاض مسرح روماني . وركن مزخرف يمثل مشاهد واشخاصاً تتعلّق بعبادة الكرم ؛ منها شخص واقف على احدى الدوالي المتفرّعة اغصانها حول فخذيه وصدره ، وقد رفع بيده فأساً مزدوجة ؛ وشخص آخر له رجلا تيس يمسك بيده ذنب حيوان لم يُعرف تماماً . وكلّها آثار مهمة لدرس عبادة الاله باخوس وعلاقتها بعبادة اله الكرم الشرقي . ويجدر بالذكر انه ليس من رُقم على هذه الآثار، ويمكن القول نفسه عن غيرها ؛ فان الرقم المكتشفة في افامية قليلة منها بعض الكتابات اللاتينية على نصب دفني روماني ، ومنها كتابة يونانية من عصر متأخر لا يمكن الارتقاء به الى مّا وراء منتصف القرن الخامس .

وقد وجد في الشارع الاكبر ناووس من الحجر عليه نقوش رومانية تشبه نوعاً ما النقوش الموجودة على نواويس الرصاص المكتشفة في بيروت (راجع المشرق ٢٨ [١٩٣٠] ١٩٤) . على ان وجود هذا الناووس مطروحاً في الجادة الكبرى يدل على ان مقبرة المدينة قد نُهبت ، ونُقل هذا الناووس ليُستعمل وعاء لجمع ماء المطر .

وهناك آثار لا تقلّ اهمية عن كل ما ذكر ، كما انها لا تقلّ دلالة على تقدّم تلك المدينة في العمران ، ومقدرة اهليها في الهندسة والصناعة ، الا وهي الاقنية الحجرية والفخارية التي كانت تتفرّع في ارض المدينة فتوزّع الماء على انحائها المختلفة .

لا يخفى انه لم يكن في المدينة ماء يكفي سكانها ، ولم يكن بالامكان ان يحوّل اليها شيء من ماء العاصي ، وهو احطّ منها مستوىً . فلزم اذًا ان تُجرّ اليها المياه من نقطة بعيدة لم تُعرف بعد . اما المعروف فهو طريقة الجرّ ، وهي

على اتم ما يمكن من الترتيب . فقد كشفت اعمال الحفر ، تحت مستوى ارض المدينة ، عن قناة كبيرة مكشوفة رُفعت في بعض الاماكن على قناطر ضخمة واركان قوية حتى اوصلت المياه الى المدينة . واكتشف ايضاً قناة اخرى اصغر من المجرى الاول ، ولكنها مستديرة تجري فيها المياه مغطّاة ، يبلغ قطرها الداخلي خمسين سنتيمتراً ، والخارجي تسعين سنتيمتراً . والعجيب فيها انها كلها من الحجر المحفور حتى منعرجاتها وزواياها ، وهو شغل يدفع الى الدهشة والاعجاب ؛ وقد كُشف مؤخراً قناة مثلها في اورشليم . هذا ويتفرّع عن تلك القناة الحجرية كثير من الاقنية الصغيرة فتسير في جميع انحاء المدينة ، الا انها من الفخار الصلب . وقد ظهرت كلها في الرسم ٦ .

* * *

هذا ما امكننا ذكره من نتائج حفريات البعثة البلجيكية في اول اعمالها . وقد تركت الآثار في غرف الخان الكبير القائم هناك ، تحت عناية الحكومة السورية ، وستعود في الخريف المقبل مع المعدّات اللازمة من ادوات لتسهيل الحفر ، وحافلات لتفريغ التراب ، وآلات لبناء سكة حديد صغيرة ، فتواصل اعمالها حتى تنتهي من تخطيط افامية تخطيطاً كاملاً .

وقد اشرنا الى الآثار المكتشفة بطريقة سطحية تاركين وصفها العلمي الدقيق وما يُستنتج منها لفائدة تاريخ المدنية القديمة ، الى المستقبل ، بعد ان يكون الاستاذ مايانس قدّم تقريره الى اللجنة البلجيكية ، وبعد ان يكون نشر آراءه وشروحه التي ليس من حقّنا ان نشير اليها الآن . بل يكفي ان نطلع قرّاءنا الكرام على ما يجري في بلادنا وما يُكتشف فيها من الدفائن النفيسة ، واعدينهم بالعودة الى الموضوع ، متمنّين للاستاذ مايانس متابعة عمله حتى النهاية .

دولة جديدة

في قلب جزيرة العرب

بقلم الاب لامنس اليسوعي

اسم هذه الدولة الجديدة « مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها » ، وهو اسم يدلّ بطوله على ان الدولة مؤلفة خصوصاً من قُطرين مختلفين هما نجد والحجاز التاريخيان . ولا يرقى نشوء هذه الدولة الى ابعد من الحرب الكونية التي جرّت كثيرًا من الانقلابات السياسية والجغرافية .

كان الحسين بن علي ، الذي فاجأتنا بنعيه اخبار تُسرّع في ارسالها ولم تلبث ان كُذّبت ، شريفاً في مكة في اوائل الحرب . وهو لقب لا سلطة فعليّة لحامله ، لان النقض والابرام كانا بيد والي الحجاز العثماني . إلّا ان الحسين استفاد من اضطراب النظام العسكري التركي ، ومن تضعضع الاتراك على اثر دخولهم الحرب ضدّ الحلفاء ، فاعلن استقلاله في ٣٠ ايار ١٩١٦ . ومنذ ذاك الحين بدأت حياة تلك المملكة التي دُعيت « مملكة الحجاز » والتي كانت ، في رغبة الحسين ، سوف تمتدّ الى ابعد من حدود الحجاز . لانه ، باتخاذه لقب « ملك العرب » ، كان يرمي الى انْ يضمّ تحت سلطته ، عاجلًا او آجلًا ، كل انحاء الجزيرة العربية ، فضلًا عن سورية والعراق . ولكن تلك الرغبة الجميلة لم تتحقّق ، فلم يعترف الحلفاء بلقبه ذاك ، ولا أقرّ امراء العرب بتلك السيطرة المزعومة ، وهم شديدو التمسك باستقلالهم الذاتي . اما ملك الحجاز فلم يُقلع عن فكرته بل جارى طمعه مجاراة كانت وخيمة العاقبة عليه ، اذ شهر الحرب على ابن سعود ، امير الرياض ، لانه لم يعترف بسلطته . فكانت

النتيجة ان الجيش الحجازي كُسر شرّ كسرة ، فانهزم امام العساكر النجدية التي دخلت مكة في ١٣ تشرين الاول ١٩٢٤ . فتنازل الحسين عن عرش الحجاز لابنه علي ، الذي لجأ الى جدة ، وقاوم فيها حتى ١٨ كانون الاول ١٩٢٥ . عند ذاك الحق ابن سعود الحجاز موقتاً بامارة نجد ، على ان يجتمع ممثلو العالم الاسلامي في موتمر عام يقرّر مصير تلك البلاد .

وفي الحقيقة لم ينتظر ابن سعود قرار ذاك الموتمر ، بل انه ، بعد ان اتخذ لقب « سلطان نجد » ، نادى بنفسه ملكاً على الحجاز في ٩ كانون الثاني ١٩٢٦ . وفي ٣١ آب من السنة نفسها اعلن دستوراً للحجاز كلّه بقانون صادر في ٢٦ حزيران ١٩٢٨ ، ومآله ان الملك يدير بنفسه الشوون الدينية والعسكرية والسياسية . ويمثله في مكة وسائر الحجاز الامير فيصل ، ثاني اولاده ، حاملاً لقب « نائب عام » ، فيدير الشوون الداخلية والمالية ، والمعارف العامة ، وينظّم الحج وما اليه . يعاونه في كل ذلك مجلس شورى مولف من احد عشر عضواً معيّنين جميعهم بقرار من الملك . وقد كان المجلس الاول منتخباً ، ولكن سرعان ما حلّه ابن سعود ، لانه لم يظهر الموافقة التامة على رغبات الحكومة الوهّابية .

ومن المعلوم انه ليس في الحجاز الّا بلدة واحدة تفتح ابوابها لغير المسلمين ، وهي جدّة . ولهذا نرى فيها جميع القناصل وممثلي الدول لدى ابن سعود ، فيقيمون في تلك المدينة ، ولا يتجاوزون حدودها . وفيها اليوم ممثلو انكلترة ، والعجم ، وفرنسة ، وهولندة ، وروسية ، وتركية ، وايطالية . وقد عقد ابن سعود مع انكلترة معاهدتين اولاهما في بجرة ، في ٣ تشرين الثاني ١٩٢٥ ، والثانية في جدة في ٢٠ ايار ١٩٢٧ ، فالغتا جميع الاتفاقات السابقة المعقودة بين انكلترة والشريف الحسين بن علي .

ويتولّى ادارة مكة والمدينة وجدة قائمقام يعاونهم مجالس ادارية يعيّن الملك اعضاءها . فيظهر ان ليس في الحجاز هيئة واحدة ناتجة عن الانتخاب الشعبي . اما من حيث المذاهب الدينية فان اكثرية اهل الحجاز الساحقة تنتمي الى المذهب الشافعي ، والاقلية منقسمة بين المذاهب الثلاثة الباقية . وهناك في

بعض القرى ، كما في نواحي المدينة ، قليل من الشيعيين . وهم ابن سعود السعي الحثيث في التخلص من هذه الاقلية الضئيلة ، وفي ضم اتباع المذاهب الثلاثة ، الشافعي والحنفي والمالكي ، الى مذهب ابن حنبل وهو مذهب الوهابيين .

اما المعارف فضعيفة والتعليم قليل الانتشار . وقد أنشئ ، في مكة ، في ١١ نيسان ١٩٢٧ مدرسة دُعيت « بالمعهد السعودي » . على اننا لا يمكننا ذكر شيء عن مناهجها وحركتها العلمية لافتقارنا الى المعلومات . ويمكننا القول نفسه عن الصحافة ، ولا يمثلها في الحجاز الّا جريدة « أمّ القرى » الرسمية ، ومجلة « الاصلاح » وهي نصف شهرية تنشر مقالات قليلة الاهمية تظهر على وتيرة واحدة . وقد كان في مكة جريدة اخرى تُدعى « القبلة » ، وفي جدة جريدة ايضاً تُدعى « البريد الحجازي » ، ولكنهما ماتتا بسقوط الدولة الشريفية سنة ١٩٢٥ .

* * *

تقلّ بلاد نجد عن الحجاز تأثيراً دينياً ، ولكنها تفوقه مساحةً ، وعدد سكان ، وغنى في المحصولات . فان الحجاز لا يعيش الّا باستثمار موسم الحجيج واستغلال الحجّاج . اما نجد فعليه معتمد ابن سعود ، وهو وطن أسرته ، فيقدّم له مادّة جيوشه التي بولغ في عددها فأوصلت الى ٨٠,٠٠٠ مقاتل . كما بولغ في عدد سكان نجد وملحقاته اي الاحسا ، والجوف ، والعسير ، فقدّرته الحكومة رسمياً بعدد ١,٦٥٠,٠٠٠ ساكن .

لما كان عبد العزيز بن سعود في الخامسة عشرة من سنيه ، لم يكن في يده شيء من مقاطعات امارته الموروثة ، لان ابن الرشيد ، امير شمر ، كان قد انتزعها كلها ، والجأ الامير الشاب الى ان يعيش منفياً في الكويت . ولكن لم تطل المدّة على هذا الشاب حتى اخذ بالسعي في استرجاع املاكه ، فاستماد اولًا النجد الجنوبي ، وهو مقاطعة آبائه واجداده . ثم اتت الحرب العامة فاعلن معاداته للاتراك الذين كانوا ينتصرون لابن الرشيد . ودامت المنازعات طويلًا بين الاميرين ، حتى انتهت بفوز ابن سعود ، فاحتلّ بلاد شمر او النجد الشمالي . ثم اضاف اليها واحات الجوف — وهي دومة الجندل المذكورة في الشعر القديم —

ثم بلاد الحجاز سنة ١٩٢٥ ، كما فصّلنا ؛ واخيرًا ناحية العسير او امارة أبها، وهو يشتغل ، في ايامنا ، بنشر نفوذه في بلاد اليمن، وبسط سيادته على امامها الزيدي .

ويمكن القول ان ابن سعود كان ، قبل السنة ١٩٢٧ ، ملكاً مطلقاً في بلاد نجد . اما اليوم فقد يظهر ثملًا بخمرة الظفر حتى الغرور ؛ لانه ، على الرغم من مقدرته السياسية والادارية ، لم يحذر الحذر الكافي من تقلقل البدو الفطري وتذمرهم الطبيعي من كل ادارة نظامية . فظنّ انه بامكانه ان يطفر الطفرات ويقتضب المراحل والمسافات في نقل رعاياه من محيطهم ، الذي لا يكاد يفرق اليوم في شيء عما كان عليه في الجاهلية زمن عنترة وحاتم طي ، الى محيط التقدم ، ومجال الرقي الحاضر . سها باله عن كل هـذا ، فنال ثمرة غفلته ؛ اذ اتّهمه الرجعيون ، وكثيرٌ ما هم ، بالميل الى الروح العصري ، فقاموا ينعون عليه تجديداته واصلاحاته حتى اجبروه على الامتثال امامهم في مؤتمر الرياض (نيسان ١٩٢٧) ، ليشرح لهم سبب تلك التجديدات ، ويسمع منهم ما لا يرضيه من الملاحظات .

هنـاك سمع تصريح العلماء الوهّابيين بانهم لا يعرفون حقيقـة التلغراف والتلفون ، وأنهم لم يروا شيئاً عن هذه الامور في تآليف الأئمـة الاقدمين من السلف الصالح ، وأنهم ، الى ان يقفوا على شيء في ذلك ، لا يمكنهم شجب هذه المجدّدات ، ولكن لا يمكنهم السماح بها . وفضلًا عن ذلك ، فانهم طالبوا بالغاء الضرائب التي لا تنصّ عليها الشريعة ، وبالغاء القوانين التي اصدرتها السلطة المدنية . وانتهوا بان طلبوا ارغام الشيعيين على الرجوع عن « اضاليلهم الوثنية » (كذا !) .

ولا حاجة الى التعليق على هـذه التصريحات ، فانها واضحة تدلّ الدلالة الكافية على استعـدادات القائمين بذاك المؤتمر ، الـذين تخوّفوا من التلغراف والتلفون وما شاكلها متوجسين فيها تدخلات شيطانية ، وما ذاك الّا لأنه لم يرد لها ذكر في مسند الامام احمد بن حنبل ، ولا في تآليف ابن تيميّة ، وابن قيم الجوزيّة ومن اليها من فطاحل العلوم الوهّابية . على ان المهمّ في الامر هو

ان وجود هؤلاء الرجعيّين خطر دائم على سياسة ابن سعود ، بل تهديد مستمر يترقّب كل ما يحدثه . وقد افهموه ، بطريقة ضمنية ، انه يجب عليه في المستقبل ان يستشير علماء الوهّابيين ، كما انه يحسن صنعاً ان بدأ باضطهاد الشيعيين القلائل في مملكته . ثم تقدّمت الحركة الرجعية فخطا اربابها خطوة واسعة الى الامام ، فدفعوا ابن سعود ، في شهر تموز ١٩٢٨ ، الى انشاء مجلس دائم من وجهاء البلاد ، وكلّهم رجعيون ، وغايتهم مراقبة الملك عن كثب وقدر اعماله بمقياسهم الرجعي .

* * *

تقسم بلاد نجد وملحقاتها الى اربع مناطق ادارية يحكم كل منطقة امير يعاونه مجلس منتخب . وهذه اسماء المقاطعات : ١ً القصيم او النجد الشمالي ويشمل بلاد شمر والجوف . ٢ً العارض او النجد الجنوبي وعاصمته الرياض ، وهي المدينة التي يقيم فيها ابن سعود ، حين لا يكون في تنقلاته الكثيرة . ٣ً الاحساء على خليج فارس . ٤ً ابها او العسير الشمالي[1] ، على شاطئ البحر الاحمر .

وقد اعتنقت الاكثرية الساحقة من سكان نجد ، بالرغم او بالرضى ، مبادئ الوهّابيين ، وهؤلاء يتبعون مذهب ابن حنبل ، ولا يرضون بكونه اضيق المذاهب السنية ، بل يضيّقون فيه ايضاً ويبالغون في بعض نزعاته . واتباع الوهّابيين عن التساهل جماعة تعرف « بالاخوان » ، كانت تؤلف جوالي او طوارئ عسكرية حربية في المقاطعات التي استولى عليها ابن سعود في اخريات حروبه ، فعاونه الاخوان وألفوا النواة القوية في جيوشه . الّا ان تقدّمهم الغشيم بمعتقداتهم ، وتعصّبهم البعيد عن العقل يعوقان الملك في الكثير من مراميه السياسية ؛ وهم يشجبون كل تجديد يقوم به ، واليهم يعود السعي في انشاء ذلك المجلس المراقب .

---

[1] تكلمت الصحافة مؤخراً عن نجاح ابن سعود في بسط سلطته على العسير الجنوبي . على اننا لا نشير الى ذلك ، قبل ان تتحقق مبلغ هذه الروايات من الصحة .

ومن اجدر مقاطعات الدولة بالذكر مقاطعة الاحسا ، وهي بلاد البحرين القديمة ، لانها تمتاز على سائر المقاطعات بخصبها وعمرانها . فان فيها كثيراً من الواحات ، وبعض الينابيع والسبخات ، وهي البحيرات الوقتية . وان من ينابيعها ما هو غزير المياه يؤلف بركات ، اي بحيرات دائمة ، وهو امر وحيد من نوعه في بلاد العرب . اما سكان تلك المقاطعة فمن الوهابيين ، بينهم عدد من القرامطة يبلغ نحو ٦٠,٠٠٠ .

ونذكر ايضاً بلاد نجد الجنوبية ، وهي ما يدعوه مؤلفو العرب الاقدمون باليمامة . وقد كان من اشهر سكانها بنو تميم ، ولا يزالون فيها حتى اليوم . وفي النجد الشمالي ، او بلاد شمر ، يترل بنو طي ، قبيلة حاتم المشهور ، فيقيمون في سلسلتين من الجبال متوازيتين مشهورتين في الآداب القديمة باسم جبلي طي ، وهما أجا وسلمى . وقد اصبح اكثر رجال هاتين القبيلتين ، تميم وطي ، من الحضريين في ايامنا هذه .

* * *

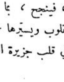
يجدر بنا ، وقد القينا هذه النظرة الاجمالية ، ان نسأل نفسنا ما هو مستقبل هذه الدولة الجديدة ؟ هل تكذب ابن خلدون القائل « ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك» وانه ليس بامكانهم ان يؤسسوا هيئة حكومية منظمة قابلة الحياة والدوام ؟ هذا ولا شك ان شخصية ابن سعود تكون بمعزل عمّا يتسرَّب الى تلك الدولة من الوهن والانحطاط ؛ لانه ، بما خُصَّ به من الذكاء والحزم ، يظهر مثالاً حيًّا لرجل الادارة الحقيقي . الَّا انَّ ما نسأل عنه هو : هل ينجح هذا الاداري الحازم في تمهيد السبل لتنظيم البدو ، وتقرير تقلقلهم الفطري ، وابدال التساهل بتعصب الاخوان ، وهو اعقل من ان يجاريهم فيه ؟

وان من العقبات التي يصادفها وجود القبائل القويّة التي تتحمل نير سلطته بتذمّر كقبيلتي مُطير وعُتيبة . ويفيدنا عبرةً ان نشير الى ان قائد الجيوش النجدية كان ، حتى سنة ١٩٢٨ ، فيصل الدويش امير مُطير وصهر شيخ عُتيبة ، وهاتان الصفتان كانتا تبسطان له اوسع نفوذ في الدولة الجديدة . ولم يكن يترك فرصة تمرّ الّا ويدلّ على الملك بنفوذه . حتى عزله هذا ، فثار مع رجال

حزبه المديـدين ، وعاونه كثير من الاخوان . فشقّ الامر على ابن سعود ، ولزمته جهود سنـة كاملة ومعارك كثـيرة ، حتى تمكن من قمع تلك الثورة الخطرة . ومن الطبيعي ان العقوبات كانت شديدة ، فتركت آثاراً بليغة لا تنتظر الّا فرصة جديدة لتثور من مكامنها .

هذا في نجد . اما في الحجاز فالدولة الوهابية بغيضة الى جميع السكان . واهم ما يشكو منها البدو تساوتهـا في الاحكام ، حتى انهم ليلومون نظام الشرطة فيها الذي يجتهد في وضع حدّ للفوضى السائدة التي اعتادها البدو فصعب عليهم الخروج منها . ثم ان سكان مكة والمدينة لا يغفرون للوهابيين ما اتوه من الفظائع ، في نظرهم ، بهدمهم الآثار التذكارية الاسلاميـة . وذلـك ان الاخوان يزعمون ان مـا يؤديه المسلمون من شعائر الاحترام والاكرام لـلآثار والامـاكن التي حفظت ذكرى مؤسس الاسلام والصحـابة ، ان هو الّا من دلائل الوثنية .

هذا شيء من الصعوبات التي يلاقيها ابن سعود ، وأينا من المفيد ذكرها ، كما ان من المفيد التشوّف الى المستقبل ، فنرى هل يتوصل الامير الاداري الحازم الى التغلب على هـذه العقبات ، فينجح ، بما فطر عليه من الدهاء والدربة ، بتغيير الفطرة البدوية ، فيؤلف القلوب ويسيّرها جميعاً في خدمة مثال اعلى واحد تتجه نحوه هذه الدولة الجديدة في قلب جزيرة العرب ؟



الاحوال الشخصية

درس تاريخي قانوني

بقلم الخوري بطرس غالب

٣

وقد استعمل رؤساء الطوائف الدينية هذه الحقوق المعترف لهم بها من الدول التي تعاقبت في الحكم على هذه البلاد ، واستندوا ، في احكامهم في الاحوال الشخصية ، الى قوانين مكتوبة وعادات مشروعة مرعية مدة اجيال .

ومن المعلوم ان هذه الحقوق تعتبرها الجماعات المذهبية حقوقاً طبيعية لا يمكن ان ينازعها فيها احد ، اذ ان المذهب يرمي الى سعادة الانسان الروحية واحوال النفس واحتياجاتها ؛ فبقدر ما تسمو النفس الجسد تسمو احوالها احوالهُ وغايتُها غايته ، وبفضل قضاء حاجات النفس على الاهتمام بحاجات المادة .

ومذ تألفت الطوائف المختلفة ما فتئت تعتدّ اعضاءها مقيّدين بقوانين معروفة تنظّم احوالهم بالنسبة الى غايتهم ، وتضمّ اليهم من طلب منها ذلك ورأته قد استوفى الشروط المطلوبة وتنبذ من لا تتوسّم فيه خيرًا ، او تقصي عنها من يثبت لها ضرره بالهيئة عموماً ، او تؤدّبه ليرعوي عن غيّه ويصلح نفسه . وكانت تلك الجماعات تتوسّل بما وضع بين يديها من الوسائل الروحية والمادية لتنال ضالتها المنشودة .

اما الجماعات المسيحية فقد سنّ لها مؤسسها الالهي شرائع اوجب على كل مُنتمٍ اليها ان يتقيد بها . وهذه الشرائع تتناول حياة الاعضاء الفردية ، والحياة العائلية ، والحالة الاجتماعية من حيث هي هيئة معنوية لها غاية روحية سامية .

طالع الانجيل ، واعمال الرسل ، ورسائل القديس بولس ، والقوانين

الكنسية في الاجيال الاولى ، ثمّ ان جوهر تلك القوانين التي يتمسك بها الآن الرؤساء الروحيون المسيحيون ويطالبون الحكومة بتأمينها لا يختلف عمّا كان الاولون يحفظونه ، بل ان رؤساء الجماعة المسيحية قد تركوا منها ما كان من صلاحيتهم ، لئلا ينهمكوا في ما ليس له الّا علاقة بعيدة مع الامور الروحية ، والغاية التي تتوخاها الكنيسة . والحكومة الزمنية ، التي لا تجاوز غايتها سعادة الشعب المادية ورفاه عيشه وطمأنينته ، لا قِبل لها بان تغفل سعادة الشعب الخالدة ، بل عليها ان توفر اسبابها له طبقاً لارادة المبدع الازلي ، الذي انما اراد ان يسلّط الانسان على الماديات لتكون له سلّماً يرتقي بها الى الروحيات .

فبناء على هذه المبادئ التي لا ينكرها الّا المكابرون ، قد استعمل الرؤساء الروحيون حقوقهم ، وكفلت لهم الحكومات ، المدركة واجباتها ، حرّية هذا الاستعمال ، وتنفيذ احكامهم وقراراتهم .

تلك كانت نظرية محكمة حلب الاستئنافية المختلطة في قرارها الصادر في ٢٧ حزيران سنة ١٩٢٧ اذ فقهت روح المشترع الذي ضمن للجماعات المذهبية ما كانت تتمتع به من الامتيازات ، فقررت انه في الاحوال الشخصية لا يمكن ان تطبق على النصارى الشريعة الاسلامية المستقاة من القرآن الذي البسها صبغة دينية بحتة . ولهذه الاسباب قد اعترف محمد الفاتح بعد استيلائه على القسطنطينية ، عاصمة المملكة البيزنطية ، بالامتيازات الكثيرة التي كانت الجماعات المسيحية تتمتع بها ، واراد ان تحترم احوال النصارى الشخصية كما تحترم احوال المسلمين ذاتها . وقد اثبت الباب العالي هذه الامتيازات على مدار الاجيال ، وغالباً ما كان يعمل ذلك بناء على مراجعات تلك الجماعات ، وخصوصاً جماعة الروم الارثوذكس . . . وقد بقي القانون العثماني البيزنطي قانونها المكتوب في شرائع يوستينيانوس المعروفة بالجديدة او النوفل ، مادة ١١٧ و ١١٨ . . . اما نحن فقد سبق لنا ان نشرنا من الفرمانات ما يؤيد هذا المبدأ .

ولدينا ، في ما يخصّ جبل لبنان ، سلسلة احكام صادرة من رؤساء الطائفة المسيحية المنظمة الوحيدة فيه حتى الجيل الثامن عشر ، وهي الطائفة المارونية ، يرتقي عهدها الى الجيل السادس عشر . وفيها فصل البطاركة والاساقفة

الدعاوى المدنية ذاتها ، فضلًا عن القضايا التي تتعلق بالاحوال الشخصية .

وقد عقدت اتفاقات بين حكّام البلاد والبطاركة موضوعها المحافظة على هذه الحقوق ، وذلك بعد ان استولى على قسم من لبنان المسلمون الشيعيون ، او السنيون ، او الاتراك ، او غيرهم لانهم قبل ذلك الوقت كان الموارنة ، وهم مسيحيّو لبنان ، ينظمون شؤونهم الداخلية كما يرومون ، يقيمون المقدمين في البلدان الكبيرة ، ويرتبون مجالس حكامهم الذين كانوا يفصلون الدعاوى جميعها ، ما عدا الجنائية منها فانهم تركوها للمقدمين او سائر الحكام الزمنيين .

قلت انه قد عقدت اتفاقات اذكر منها ما عقد مع الشيخ سرحان حماده سنة ١٦٥٤ ، وفيه اشترط عليه الرؤساء الروحيون انه لا يحق له التدخل في امور الدين والعرض والدم .

والاحكام والفتاوى الصادرة من البطاركة والاساقفة وافرة جدًا . فانهم كانوا يقضون في مسائل الزواج ، وكل ما يتعلق بها ، وبامور الوقف ، والوصايا ، والقاصرين ، حتى انهم كانوا يحكمون بالجزاء النقدي والحبس . وقد استمرت عادة فرض الجزاء النقدي الى ايام المطران يوسف جعجع ، مطران قبرس .

وقد نشر بعض هذه الاحكام والفتاوى حضرة الاب المدقق يوسف زياده ، في كتابه في القضاء الماروني الذي نوّهنا بجزاته فيما سبق ، وسينشر احكاماً وفتاوى غيرها في فرصة اخرى ، ولدينا منها العدد العديد . ويرتقي عهد اقدم ما في يدنا الى البطريرك اسطفان الدويهي .

اما الذين امتازوا في القضاء بين رجال الاكليروس ممن وصلت الى يدنا بعض احكامهم ، فهم البطاركة جرجس عميره ويوسف حليب العاقوري ، واسطفان الدويهي ، ويعقوب عواد ، ويوسف ضرغام الخازن ، وسمعان عواد ، وطوبيا الخازن ، ويوسف اسطفان ، ويوسف التيان ، ويوحنا الحلو ، ويوسف حبيش ، ويوحنا الحاج . اما المطارنة فنذكر منهم يوسف الحصروني ، ومخائيل الحصروني ، وبطرس مخلوف ، واغناطيوس شرابيه ، ويوسف اسطفان ، ويوحنا مارون العظم ، وجبرائيل الناصري ، وبطرس كرم ، ويوحنا حبيب . والكهنة كثيرون منهم ارسانيوس الفاخوري ، وجرجس يمين ، وبطرس منصور

بطحا ، ويوسف الشاعر ، ويوسف المكرزل عين عار ، وعبد الله العقيقي ، وجرجس فرج الاول ، وبطرس المكرزل بيت شباب .

وكان هؤلاء القضاة يحكمون بموجب القوانين والشرائع والعادات المشروعة ، واغلبها مقتبس من الشرائع الرومانية ، و« القوانين الملوكانية » ، والقوانين الكنسية والعادات المرعية . وقد استندوا مرات الى الشريعة الاسلامية في المواد المدنية طبعاً .

جمعت هذه القوانين في كتب معروفة :

١ قال الخوري اسقف جرجس منش ان اول كتاب قوانين اتبعه النصارى خصوصاً الموارنة هو كتاب عدي بن ابراهيم عديان . وقد ورد ذكر عدي هذا في كتاب « الهدى » المشهور .

٢ ثاني هذه الكتب الناموسية هو كتاب « الهدى » او « الناموس » او « الهداية » او « الكمال » الذي لا يُعرف مؤلفه ، ولا سنة تاليفه ، انما كل ما هنالك ان النسخة الموجودة ترتقي الى سنة ١٠٥٩ . هذا الكتاب مجموع من مؤلفين متعددين ، ضمت فيه قوانين الرسل الى قوانين اقليميس وكيرلس والمجامع المسكونية والوطنية ، وبوجيز العبادة ، بجموع القوانين البيعية . وفي هذا الكتاب نرى ، بعد القوانين البيعية ، الشرائع المدنية ذاتها ، لا الاسلامية ، بل الرومانية . يشتمل هذا الكتاب على ٥٣ باباً ، يتناول الباب الثالث والخمسون منها مراسيم الملك قسطنطين ، وثاودوسيوس ، ولاون ، وعددها ١٤٠ مرسوماً ، وموضوعها الامور المدنية . وخُصص البابان التاسع عشر والخامس والعشرون بالزواج والطلاق ، والامانة ، والقضاء ، ثم الاسباب المسوّغة الهجر .

٣ ثالث هذه الكتب : كتاب « الناموس » والنسخة الموجودة منه ترتقي الى السنة ١٥٥٠ . وهو غير كتاب الهدى ، ويعرف ذلك في عدد ابوابه ومواضيعها . وعدد هذه الابواب ٥١ ، خصّص منها بالشؤون المدنية ، عدا الاحوال الشخصية ، ابواب كثيرة : كالباب ٢٢ ، وفيه القوانين المتعلقة بالاموات ، وبالامور العالمية والسياسية كالمأكول والمشروب والملبوس ، والمنازل ، والزواج ، وتحريم التسرّي . والباب ٢٣ في المآكل والملابس والصنائع — ٢٤ :

في الإملاك والزيجة — ٢٦: في الهبة — ٢٧: في القرضة والرهن والضمان والكفالة — ٢٨: في العارية — ٢٩: في الوديعة — ٣٠: في الوكالة — ٣١: في الحرية والعبودية والعتق — ٣٢: في الهجر — ٣٣: في المبايعات وتوابعها — ٣٤: في الشركة — ٣٥: في الاكراه والغصب — ٣٦: في الابنية وتوابعها — ٣٧: في الطرق والشوارع والازقة، ومجاري المياه، وانهيار الضياع — ٣٨: في القرض — ٣٩: في الاقرار — ٤٠: في من يجد ضائعاً — ٤١: في الوصية بالمال — ٤٢: في المواريث — ٤٧: في القتل — ٤٨: في قصاص الزناء — ٤٩: في قصاص السرقة — ٥٠: في عدة جرائم — ٥١: في عدة امور. وقد اضيف الى هذه النسخة امور اخرى لكنها كنسية.

٤ رابع هذه الكتب: كتاب «الطب الروحاني» للمطران مخائيل الاثربي اسقف بلج في الصعيد، وفيه ٤٩ باباً تتناول المواضيع المتقدم ذكرها.

٥ خامس هذه الكتب: كتاب القوانين الذي نسخه جرجس البرديوط الاهدني رئيس دير قزحيا سنة ١٤٧٢، وهو يحتوي على مقتطفات من قوانين المجامع واقوال بعض اساقفة الشرق.

٦ سادس هذه الكتب: كتاب الناموس لجبرائيل ابن القلاعي، مطران افقسية قبرس، اخذه عن اللاتينية واغلب ابحاثه في الامور الروحية.

٧ سابع هذه الكتب: كتاب الشريعة للمطران مخائيل الحصروني، ومداره المواريث خاصة.

٨ ثامن هذه الكتب: كتاب مختصر الشريعة للمطران عبدالله قراعلي، مطران بيروت. واحد مؤسسي رهبانية القديس انطونيوس الكبير اللبنانية. وهذا المختصر اثنان وثلاثون باباً ترى في بعضها فصولاً:

الباب الاول في القاضي وفيه فصلان، الثاني في الشهود وفيه فصلان، الثالث في الاقرار، الرابع في الهبة، الخامس في القرض، السادس في الرهن، السابع في ضمان المال، الثامن في كفالة النفس، التاسع في العارية، العاشر في الوديعة، الحادي عشر في الوكالة، الثاني عشر في المبايعات وفيه اربعة فصول، الثالث عشر في الحوالة، الرابع عشر في الشركة، الخامس عشر في المضاربة،

السادس عشر في الاكراه والغصب ، السابع عشر في الشفعة ، الثامن عشر في الصلح ، التاسع عشر في الاجارات والحكور ، العشرون في الطرق والشوارع وفيه ستة فصول ، الحادي والعشرون في ما يوجد من ضائع وفيه ثلاثة فصول ، الثاني والعشرون في الحجر ، الثالث والعشرون في الحرية والعبودية والعتق ، الرابع والعشرون في الوقف ، الخامس والعشرون في الخطبة وفيه فصلان ، السادس والعشرون في الزيجة ، السابع والعشرون في حضانة اليتيم وتربيته ، الثامن والعشرون في الوصية بالمال ، التاسع والعشرون في الوصي ، الثلاثون في المواريث وفيه ستة فصول ، الحادي والثلاثون في جناية البهائم ، الثاني والثلاثون في عقوبات المتعدين وصايا الله وشريعته .

٩ تاسع كتاب : كتاب الفتاوى للمطران ذاته ، وهو مجموع امثلة تطبق فيها القوانين على الوقائع تنويراً للقضاة .

وقد جعل هذان الكتابان الاخيران دستوراً للقضاء في الطائفة المارونية بقرار من البطريرك سمعان عواد والاساقفة في عهده بتاريخ ١٩ تموز سنة ١٧٤٤ . وقد استند اليها البطاركة والموارنة في احكامهم . وما ذلك الا تحقيقاً لما كان قد سبق ورسمه المجمع اللبناني ، وقد ذكرناه فيما تقدم .

وبقي الحال على هذا المنوال حتى ايام شكيب افندي سنة ١٨٤٠—٤١ ، الذي حاول ان يدخل النظام القضائي العثماني فلم يفلح . ولم يتمّ هذا الامر الا في عهد رستم باشا ، متصرف جبل لبنان ، الذي اخذ في هضم حقوق لبنان المقررة في نظامه الاساسي ، وحقوق رؤساء الدين التي كان قانون سنة ١٨٦٢ قد ابقاها لهم . ولم يُعطَ فرمان للبطريرك الماروني الا في اوائل الحرب الكبرى ، فان الحكومة العسكرية اكرهته تحت الضغط الشديد على قبوله .

الخلاصة

ان الجماعة المسيحية المنظمة في لبنان كانت ، قبل سنة ١٨٦٠ ، الطائفة المارونية يتمتع رؤساؤها بحقوقهم كلها ، دون ما تفويض من قبل السلطة العثمانية ، لانهم لم يطلبوا الفرمان ولم تقدر الدولة العثمانية ان ترغمهم على اخذه

وذلك بفضل الدولة الفرنسية التي كانت تعضدهم في حفظ امتيازاتهم القديمة. اما في الولايات فكانت امتيازات الجماعات المسيحية معينة في البرآءات السلطانية .

ولذلك ترى الموارنة في لبنان ينتخبون بطاركتهم ، والبطاركة ينتخبون الاساقفة ، دون تدخل السلطة المدنية مطلقاً . وكان جميع من تقدم ذكرهم يستعملون وظيفتهم ، ويصدرون الاحكام فينفذها المقدمون والولاة ، ويبنون المعابد والمدارس والاديار والمحابس دون اجازة ، بعكس الذين كانوا في الولايات . ويوقف النصارى الاموال الثابتة او المنقولة للاعمال الدينية والخيرية بتصديق البطاركة وحدهم ، ويقيمون مراسيم الدين علناً في الكنائس وخارجها ، بدون اجازة ، ويجددون المقابر ويجيزون بناءها او يمنعونها ، ويفصلون في الدعاوى الزمنية كما ذكرنا . ويقيمون الاوصياء على القاصرين ويحاسبونهم ، ويناظرون على الاوقاف ويسهرون على ادارتها . ولم يكن الاساقفة الموارنة المقيمون في الولايات كمطراني بيروت وحلب يأخذون فرماناً .

بما تقدم كفاية لاثبات امتياز الجماعات المذهبية في لبنان حتى عن امثالها في الولاية . ولما كانت الجمهورية اللبنانية ليست سوى لبنان بحدوده الطبيعية الجغرافية والتاريخية ، كان علينا ان نحافظ على ما تعوّده اللبنانيون في ما لا يضرّ بالنظام العام والامن ، وتبقي لكل طائفة على السواء ما تمتعت به من الحقوق من قديم الزمان .

ونرى ان احسن ما يمكن ان نختم به هذه المقالة المذكرة التي قدمها بطاركة الطوائف المسيحية في كانون الاول سنة ١٩٢٨ الى فخامة المفوض السامي الجمهورية الفرنساوية في سورية ولبنان، بمشروع قانون الاحوال الشخصية الذي كانوا قدموه للجنرال ڤيغان قبل ذلك ، واليك نصّ المذكرة :

نحن بطاركة الطوائف المسيحية في البلاد المشمولة بالانتداب بعد ان تذاكرنا في البنود الرئيسية لقانون الاحوال الشخصية ومع وجود فوارق بين مذاهبنا التي لكل منها اختصاصاتها، وايضاحاً للتقرير المنظم من المطارنة في بيروت في اجتماعهم في شباط سنة ١٩٢٧ بوجب مرسوم فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية لدرس هذه القضية ، لنا الشرف ان نحيط فخامتكم علماً بما وقع عليه اتفاقنا لتتكرم فخامتكم بالتعجيل جهد المستطاع في نشر قانون الاحوال الشخصية المرغوب فيه كل الرغبة والمنتظر من الجميع اشد الانتظار .

١ – الزواج. اننا نؤكد ان يكون من وظيفة المحكمة الروحية في الطائفة التي عقدت الزواج دون سواها كل القواعد والدعاوى المختصة بالزواج – مما يتقدمه وما ينتج عنه – كما سنبين فيما يلي، وان تنفذ المقررات التي تصدرها تلك المحكمة بواسطة السلطة المدنية. والامور المختصة بالزواج هي: الخطبة، البائنة (الدوطة)، الجهاز، بدل البكارة (النقد)، الهدايا التي تقدم للعروس، العقد الزواجي صحته، الهجر، ابطال الزواج، والطلاق عند الملل التي تقول به، النفقة، النسب، اعطاء اولاد الفراش البنوة الشرعية، التبني، الحضانة، حق الاحتفاظ بالاولاد.

واذا عقد زواج مختلط فالحق لمحكمة الطائفة التي عقد كاهنها الزواج، واذا حصلت بركة الاكاليل من كهنة طائفتين على التوالي فالحق للطائفة التي اتم كاهنها العقد اولاً.

٢ – الوصاية. للسلطة الدينية العادية حق تعيين الوصي، والمشورة الشرعية على القاصرين الذين يكون قد قرر الحجر عليهم. وكذلك حق ابداله بسبب موته او عزله من قبلها. وادارة اموال هؤلاء القاصرين تجري تحت مراقبتها واليها تقدم الحسابات من الاوصياء، ولها وحدها الصلاحية بان تعطيهم المأذونية اللازمة للتصرف باموال الموصى عليهم. وهم يتمون العقود بناء على تلك المأذونيات وفاقاً لقواعد القوانين العامة بدون ان يلجأوا مطلقاً الى المحاكم الشرعية، على انه يبقى لهذه المحاكم بصورة موقتة واستثنائية حق النظر بأمر مداينات القاصرين التي جرت سابقاً بحجة شرعية وفاقاً للتعامل القديم. واخيراً للمحاكم الروحية حق رفع الحجر عن المحجور عليهم، والنظر في الدعاوى التي تقام من القاصرين لاثبات الرشد

٣ – الارث. نظراً للصعوبات الجمة التي قد تنشأ بداعي توزيع الارث نترك للمفوضية العليا ان تعين في قانون الاحوال الشخصية المحاكم الصالحة لذلك. على ان يبقى للمحاكم الروحية اولاً ان تحكم بالوفاة وانحصار الارث. ثانياً ان تحرر التركات حتماً اذا وجد بين الورثة قاصر او مفقود.

واننا نطلب ان ينص في التشريع الجديد على جواز الوصية ولو لوارث بثلث المال ان كان للموصي ورثة قانونيون، اصول او فروع، وبكل مال الموصي عند عدم وجودهم، كما اننا نطلب تقرير حق التسجيل.

٤ – الوصية. تسجل الوصية لدى المحاكم الروحية، ولها وحدها الحق في الحكم بقانونيتها.

٥ – الاوقاف. اننا نطالب المحاكم الروحية بحق قبول وتسجيل الاوقاف العائدة لوجه البر والخير كالابرشيات، والاديرة، والكنائس، والقداديس، والمدارس، والفقراء، والاعمال الخيرية العائدة لهم. وان الرؤساء الروحيين هم بموجب اختصاصهم مديرو اوقاف طوائفهم، يديرونها بموجب القانون الكنسي. ولهم ان يسموا لوقت ما مديرين لها ينتخبونهم من الاكليريكيين او العالميين، وعلى هؤلاء ان يقدموا لهم حساباً عن اعمالهم. والرؤساء يأذنون لهؤلاء بكل عمل يكون به التصرف باموال الاوقاف (كالاستدانة والاستبدال والبيع او اعطاء حقوق عينية)

وكل مأذونية او دعوى هي الآن من وظائف المحكمة الشرعية لتعلقها بالوقف تعود عندئذ

للرؤساء الروحيين ولمحاكمهم الكنائسية التي تنفذ مقرراتها بواسطة السلطة المدنية.

٦ – المفقود. الى ان يحين تشريع جديد تنظم بموجبه قضية المفقود ويعطى حق النظر بامره الى المحاكم العادية. نطلب ان يعطى لنا في ما خص المفقودين من المسيحيين ذات الحقوق التي للمحاكم الشرعية بحق المفقودين من المسلمين.

ولقد اردنا بيان ما تقدم من اتفاقنا على هذه النقاط الاساسية ان نظهر لفخامتكم اجتماع كلمتنا، رغم الفوارق التي بين طوائفنا، في وجهة النظر ببعض هذه الامور، لنسهل لكم سرعة نشر قانون الاحوال الشخصية.

واملنا ان هذه العريضة تلقى منكم قبولاً حسناً. ونرجو منكم في الختام، يا فخامة المفوض السامي، ان تقبلوا شعائر احترامنا الممتاز.

قد اكتفى الرؤساء الروحيون بما تقدم من حقوقهم العديدة، رغبة منهم في ان يخففوا عنهم عبء اثقال قد تعيقهم عن اتمام سائر واجباتهم، فلا مندوحة للحكومة من ان تقرر ما طلبوا حتى تصبح المساواة اكيدة بين طوائف لبنان، فتتمتع جميعها بما لها من الحقوق، دون ان يجعل لطائفة ميزة على سواها.

ولا بد من لفت الخواطر الى ان مسألة الوصاية، وتقدير النفقة، والمنعة الاكليريكية، وصيانة المعابد والمؤسسات الخيرية، لمن اهم ما يتطلبه الرؤساء الروحيون، لان السهر على القاصر وتربيته من اوجب واجباتهم الرعائية، واعطاء المحكمة المذهبية حق تقدير النفقة يغني المتداعيين عن نفقات لا موجب لها، ومنعة الاكليريكيين والمعابد مما تتطلبه كرامة رجال الدين ودور العبادة. ولا شك ان المجلس النيابي اذا اشبع هذه المسألة درساً في كل تفاصيلها، لا يلبث ان يقرر هذه الحقوق التي ضمنها للطوائف المسيحية السلاطين العثمانيون انفسهم، ثم رؤساء وزارات فرنسة المتتابعون لجمعية الامم في صك الانتداب.

اما الاعتراضات التي يتسلح بها خصوم الاحوال الشخصية فلا قيمة لها، اذ ان سوء الاستعمال لا تخلو منه المحاكم والادارات الروحية والعالمية، وليس دواؤه في هضم الحقوق بل في التشبث بحسن استعمالها. ان ما يطالب به الرؤساء الروحيون هو المبدأ. فليست المسألة مما يتعلق بالاشخاص بل بالمبادئ، فعلى اسس المبادئ والتقاليد والعادات المرعية والحقوق المنتحلة، يجب ان تحل.

وسننشر، في العدد القادم، مشروع القانون الذي كان قد وضعه الرؤساء الروحيون بناء على رغبة الجنرال ڤيغان، وقدموه له قبل ان يستدعى الى فرنسة بمدة قليلة.

حرارة البخار مصدر القوة

نظرية جورج كلود وتطبيقها العملي

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ،
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

فكرة

فريدة ابداها ، لسنتين خلتا ، العالم الفرنساوي الكبير جورج كلود فسُمع صداها في جميع اقطار المعمور ، ولا يزال ذلك الصدى الى اليوم ، تتناوله الجرائد والمجلات العلمية ، نظرًا لما قام به العالم المذكور من الاختبارات تطبيقًا لفكرته.

قام وتنتذ المعارضون – وما اكثرهم في مثل تلك الاحوال – متّهمين السيد كلود بالتطرّف ، منكرين عليه صحة نظريته من الوجهة العملية. امّا هو فلم يعبأ بما قيل ، بل عمد الى تجارب فنية يذكرها التاريخ اجيالًا ، فكانت شاهدًا قويًا على ثبات همّته ، وبُعد نظره ، وسداد رأيه.

من باريس الى بلجيكة ، ومنها الى جزر الاوقيانوس ، سارَ مجدًا وراء تحقيق فكرته ، غير عابئ بالاخطار ، رافعًا لواء الهمة والنشاط. أجل من ينكر عليه همته وهو اليوم في العقد السابع من عمره ، كساه الشيبُ ، فزاده جلالًا .

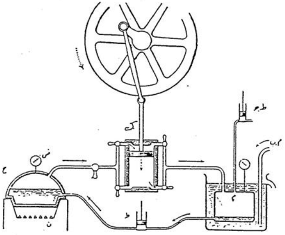
خانته الاقدارُ في بعض تجاربه فلم ينثنِ اولا ولا ثانياً ، متابعاً اعماله ، صارفاً في سبيلها الاموال بلا حساب . هوذا سرُّ نجاحه ! ولا شك في أنَّ فوزه الباهر يحفظ له ، عند عارفيه والسامعين باعماله ، عاطفة حبّ واكرام .

توطئة

ان نظرية السيد جورج كلود مرتكزة على مبدأ الآلة البخارية . لذلك نقول توطئة : إن للبخار قوة عرف منافعها ، لاول مرة ، العالم بابَين (Papin) الفرنساوي وذلك اذ رأى ، صدفةً ، غطاء قدرته يعلو ويهبط . فتمعّن في الامر ،

واخذ يبحث عن طريقة لاستخدام تلك القوة ، فكانت الماكنة البخارية . وقد زاد في تحسين تلك الآلة المهندس الانكليزي وات (Watt) ، فشاع استعمالها حتى يومنا هذا .

يولّد البخار بتسخين الماء ضمنَ حلّةٍ متينة الجوانب ، محكمة السدّ ، فيزيد ضغطه بارتفاع حرارة الماء . وتلافياً لازدياد ذلك الضغط وخطر الانفجار ، يُجعل فوق الحلة آلة لوزنه . امّا تعديله فيصير امّا بتخفيف النار في الموقدة وامّا باستخراج قسمٍ منه .



الرسم ١ : توليد القوة بواسطة البخار

ح : الحلة — ن : الموقدة
ك : المدك — م : المقطرة
ط ه : طلمبة لتفريغ الهواء — ط : طلمبة لدفع الماء في الحلة
ض : آلة لوزن الضغط — م ب : وصول الماء البارد لتبريد المقطرة

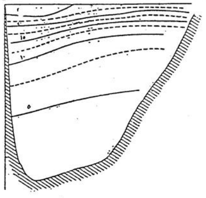
كان الضغط المعوّل عليه ، حتى الحرب ، لا يتجاوز ١٢ كيلوغراماً في السنتيمتر المربع ، اي ما يوازي حرارة درجة ١٨٠ سنتغراد . ثم توصلوا الى استخدام ضغط ٢٤ كيلوغراماً ، خصوصاً في القاطرات البخارية . وقد زيد هذا الضغط اليوم الى الخمسة والخمسين كيلوغراماً في الدوّامات .

يدخل البخار ضمن اسطوانة فيحرك فيها مدكاً من فوق الى اسفل مثلاً ، حتى اذا وصل المدك الى قعر الاسطوانة ، أُتي بالبخار من الجهة المعاكسة ، فارتفع المدك وقذف بالبخار السابق الى الخارج ، والاحسن الى وعاء يُعرف « بالمقطرة » ، فيتحول فيها ماء يعاد استخدامه في الحلة . وقد بيّن المهندسون ان انتاج المجموع تابع لارتفاع حرارة البخار في الحلة ، وانخفاض حرارة « المقطرة » . لذلك كثيراً ما يُصرف في سبيل تبريد هذه كمّية وافرة من الماء .

ومن الثابت ، في علم الطبيعيات ، ان تبخير السوائل يجري بايّ حرارة كانت ، على ان يخفّ الضغط فوقها ، وتطبيقاً لذلك المبدأ نقول : لو جعلنا في الحلّة ماء درجة حرارته ٢٥ فقط ، لتمكنّا من تبخيره بعمل الفراغ ، واستخدام ذلك البخار لتحريك الماكينة او الدوّامة بشرط ان تكون درجة حرارة المقطرة تحت الخمسة والعشرين . ولا حاجة الى القول ان القوة المستخرجة بتلك الطريقة هي اقلّ بكثير من التي تستمدّ بواسطة البخار الحارّ ، غير انها لا تستلزم محروقاً ، وفي ذلك وفرٌ ظاهر

نظرية السير جورج كلود

لقد ثبت بالاختبارات الحديثة ان مياه البحار ، عند خطّ الاستواء ، تبلغ درجتها الخمسة والعشرين سنتغراداً ، وتخفّ تلك الحرارة مع العمق حتى الخمسة او الثلاثة ، والرسم ٢ يمثل هندسياً انخفاض حرارة الماء ، مع العمق ، في محطة جزيرة « هاڤان » في الاوقيانوس الاتلانتيكي . فلو تمكنّا من استخراج الماء البارد من قعر البحر واستخدامه كمبرّد « للمقطرة » في الماكينة البخارية ، واخذنا مياه



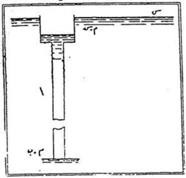
الرسم ٢ : حرارة مياه الاوقيانوس قرب جزيرة « هاڤان »

السطح الفاترة ونجزناها بلا وقود بواسطة الفراغ ، لأتينا بقوّة ميكانيكية لا تفنى ! . .

تلك هي نظرية العالم كلود ، وقد ساعده على تحقيقها المهندس الشهير « بوشرو » (Boucherot).

بقي علينا ان نبحث في كيفية استخراج تلك المياه الباردة دون قوة ما ، والامر سهل صعب : سهل في مبدئه ، صعب في تحقيقه.

اذا ما انزلنا ، عمودياً في البحر ، انبوبة مفتوحة الطرفين ، صعد بها الماء ، بقوة الضغط ، حتى يُساوي سطحه سطح البحر (الرسم ٣). وبقدر ما تنزل الانبوبة في البحر تزيدُ برودة الماء. وتحفظ تلك البرودة بواسطة غلافٍ خارجي من « الليف » وغيره يحيط بالانبوبة فيمنع دخول الحرارة الخارجية اليها. امّا تركيزُ الانبوبة عموديةً ، واثباتها في محلها ، رغم الامواج والزوابع ، فذلك من الصعب. لهذا قد حلَّ المشكل السيد كلود بتركيزها مائلةً كما في الرسم ٤ ، مثبتةً في الشاطئ من جهة وغارقة في البحر من الجهة المقابلة. ولا خوف على ذلك القسم من الامواج لان قعر البحار مُظلمٌ ساكن لا تصل اليه حركة.

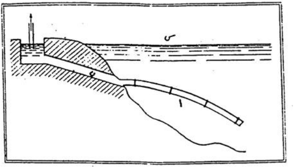


الرسم ٣ : الماء البارد يصعد في الانبوبة من قعر البحر بقوة الضغط
س : سطح البحر
م.س : الماء السخن
م.ب : الماء البارد

وقد مثّل بعضهم في الرسم ٥ مركزاً خيالياً لتوليد القوة الكهربائية حسب نظرية السيد كلود ، والمركز سابح في البحر . . .

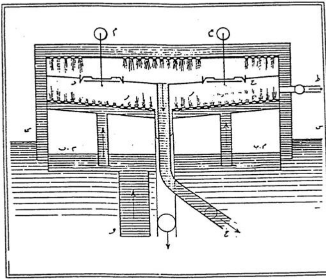
عملية السيد جورج كلود

بدأ السيد كلود باختباراته في لياج ، من اعمال بلجيكة ، سنة ١٩٢٨ ،



الرسم ٤ : الانبوبة مرتكزة في البحر ، مائلة ، مثبتة من جهة الى الشاطئ

س : سطح البحر ا : الانبوبة ن : نفق في الصخر موصول بالانبوبة



الرسم ٥ : شكل هندسي اجمالي لمركز توليد القوة الكهربائية على طريقة جورج كلود

س : سطح البحر م . ب : الماء البارد

خ : خروج الماء السخن الشاغل في الدوامة و : وصول الماء البارد في الانبوبة

د : الدوامة البخارية م : المولدة الكهربائية تديرها الدوامة

مستعملاً مياه نهر الموز (Meuse) لتبريد « المقطرة » ، والمياه نفسها مسخنة قليلاً لتوليد البخار .

وقد دفع به نجاح عمليته هذه الى تجارب ، اوسع واعظم ، على شواطئ جزيرة كوبا ، قرب خليج ماتنزاس . فاعدّ مـا يلزم من الأنابيب والآلات وشحنها الى مركز العمل . امّا الانابيب فكانت من صفـائح الفولاذ المضلّع بثخانة مليمترين فقط ، قصد الخفّة وسهولة التركيز . وتخفيضاً لنفقات الشحن ، فقد عُملت قِطع الانابيب هذه بثلاثة اقطار مختلفة : يبلغ احدها ٢١٨ سنتيمتراً ، والثاني ٢٠٧ ، والثالث ١٩٦ ؛ كي يمكن ادخالهـا بعضهـا في بعض فيخفّ حجمها . وقد قيل ان اجرة شحن تلـك الانابيب من اوربة الى اميركة ناهز ثمنها ، اي نصف مليون فرنك .

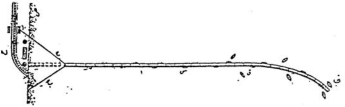
وُصلت الانابيب بعضها الى بعض ، وطولها الفا متر ، بواسطة اللحام الذاتي . ثم أُنزلت الى البحر تحملها ، فوق الماء ، ظروف من الهواء . تعرف « بالسبّاحات » وقبل ان يتمّ اغراقها في الماء بتمزيق السبّاحات ، هبّت زوبعةٌ عظيمة فشتّتتهـا واتلفت منها قسماً وافراً .

ولم تكن تلك الخسارة لتثني العالم عن عزمه فعاد الى فرنسة وباشر عمـل غيرها من الانابيب . وكانت هذه الانابيب كالسابقة قوة وخفة ، انما بقطر ١٦٠ سنتيمتراً فقط . ويرى في الرسم ٦ دائرة احدى تلك الانابيب وبقربها صاحب النظرية السيد جورج كلود . امّا انزالها في الماء فكان على الوجه الآتي :

قسمت الانابيب ، على طولهـا ، الى قسمين طول القسم الاول ١٥٠ متراً وطول الثاني ١٨٥٠ . فاثبت ذاك في محلّه ، قرب الشاطئ ، في اوائل حزيران الماضي ، ووُضعَ هذا بطوله على خطٍّ حديدي قرب الماء ، ورُبط احد طرفيه الى حبلٍ من الفولاذ يلفّ على خنزيرة مثبتة في الصخر (انظر الرسم ٨) . وهنالك استعدادات غيرها لا سبيل الى ذكرها الآن .

ولما كان الخامس والعشرون من شهر حزيران ، والجوُّ صافٍ والبحر راكد ، حضر المهندسون والعملة ، ولكلٍّ عمل مفروض ؛ فأُنزلت الانبوبة في المـاء يجرّها فوق الخط الحديدي ستـة من القوارب ، ولما بدأوا باتلاف السبّاحات

لاغراقها ، لم يشعروا الا والحبل الفولاذي قد انقطع ، فغارت الانبوبة في البحر بسرعة مخيفة . فاسودّت الوجوه وضعفت الآمال . غير ان جورج كلود قابل ذلك بثبات جأش وصبر بالمتين ، قائلاً : « سنعاود العمل » . وهكذا كان حتى توصل ، في الثالث والعشرين من شهر ايلول الماضي ، الى اثبات الانبوبة في محلها ، فصعد فيها الماء البارد ترفعه ، من الجاووز الجامع ، طلمبات مخصوصة ، وتبرّد المقطرة .



الرسم ٨ : شكل هندسي لطريقة انزال الانبوبة في الماء

ا : الانبوبة
ب : الخنزيرة
ق : القارب
ض : الارض اليابسة
ح : الحبل الفولاذي
خ : الخط الحديدي
س : السياج

ولا تزال تصعد الى اليوم ، انما وجدت درجة حرارته ١٣ سنتغرادًا بينا ان الحساب قدّر لهذا العمق عشر درجات . ورغم ذلك فالفرق الباقي بين درجة حرارة المياه على سطح البحر ودرجة ١٣ لا يزال كافياً لادارة الدوّامة البخارية .

القوة الممكن استمدادها من مركز ماتنزاس

لا يخفى على القارئ ان القوة المستخلصة ، بطريقة كلود ، من الآلة البخارية ، لا تصدر كلها ، لوجوب استخدام قسم منها في الطلمبات وباقي المحركات اللازمة العمل . وقد قدّر البعض ، قبل اختبارات السيد كلود ، ان هذه القوة المستهلكة قد توازي القوة المستمدة من البخار فتكون النتيجة لا شيء : لكنهم اخطأوا في حسابهم لان الطلمبات والمحركات التي استخدمت لهذه

الثانية عملت خصيصاً بانتاج عظيم ، بمساعي السيد راتو (Rateau) زميل السيد كلود في اكادمية العلوم .

أمّا القوة الصافية الممكن اعطاؤها فتبلغ — على تقديرنا — الخمسمائة كيلوواتات او سبعمائة حصان . هذا فيما لو افترضنا ان كمية الماء البارد ، المستخرجة من الانبوبة ، ثلاثة امتار مكعبة في الثانية ، وان درجة الماء الفاتر ٢٥ ودرجة الماء البارد ١٣ ، وان انتاج الدوّامة البخارية سبعون بالمائة ، وان القوة المستهلكة لرفع الماء وعملية تفريغ الهواء ، توازي ٢٥ بالمائة من القوة البخارية . امّا القوة التي اتت بها تجارب كلود فلم نعرفها بعد . ومهما يكن من مقدارها فالمقصود الآن من الاختبارات السابق ذكرها ، ليس الاستثمار ، بل تبيان « مبدأ » علمي واننا نؤمل ان يكون لتجارب السيد كلود نتائج اقتصادية ، فيتلوها مشاريع من نوعها اقوى واضمن .

وقبل الختام لا بدّ لنا من التصريح بان عملية العالم جورج كلود ليست ، كما يدعوها البعض ، « بالحركة الدائمة » . فان مبدأ هذه فاسدٌ اذ يرمي الى استمداد القوة من اللاشيء . غير ان مبدأ عملية كلود صحيح ، قديم العهد ، معروف عند العلماء منذ القرن الثامن عشر ألا وهو تحويل الحرارة الى قوة ميكانيكية ، بواسطة تبخير الماء وتقطيره . وفضل السيد جورج كلود عائدٌ الى تطبيق ذلك المبدأ ، باستخراج القوة من حرارة مياه البحار .

حي بن يقظان

وفلسفة ابن طفيل

بقلم الاب توتل اليسوعي

١

عني الافرنج بقصة حيّ بن يقظان عناية سبقونا فيها الى التفتيش عن ذلك المؤلف وطبعه ، ونقله الى مختلف لغاتهم ، وتفسيره . في السنة ١٦٧١ ، كان المستشرق الانكليزي پوكوك (Pocock) اول من طبعه في العربية أخذًا عن مخطوط محفوظ في مكتبة اوكسفرد ، وفي السنة ١٧٠٠ أعيد طبع الكتاب . وفي السنة ١٩٠٠ ، نشرَ لاون غوتيه الافرنسي ، المتعاطي تدريس الفلسفة في معهد الآداب العليا في الجزائر ، الكتاب ذاته بطبعة علمية ، متقنة مطابقة لأصل مخطوط اكتشفه في مدينة الجزائر ، واستعان عليه بطبعة پوكوك ، وبطبعات ظهرت في مصر ، وفي الاستانة .

ونُقل الكتاب الى اللاتينية ، والهولندية ، والالمانية ، والانكليزية ، والاسبانية ، والفارسية ؛ واعيد طبعه في بعض تلك اللغات مرات . وسبق موسى الناربوني اليهودي ، ونقل الكتاب الى العبرية سنة ١٣٤٩م ، وعلّق عليه ما ساعد من اتى بعده على فهم ابن طفيل وغيره من فلاسفة العرب .

وفي القرون الثلاثة الاخيرة ، ولع الافرنج ولعاً شديداً بقصة حيّ بن يقظان ، فقرأوها واخذوا عنها موضوعها وحوادثها ، وحذوا حذوَ ابن طفيل . وعند مقابلتنا بين تلك القصة وبين ما كُتب من امثالها كقصة روبنصون كروزوي ، وكمؤلفات جان جاك روسو في نشأة الانسان بمعزل عن الحياة الاجتماعية ، وتطوّر حياته الفكرية بالاكتشاف التدريجي في احوال الكون ،

وكاتوال ديكارت في سلسلة البراهين واستنباط النتائج من المقدمات ، لا يسمنا الّا الميل الى ان هؤلاء الكتبة اطلعوا على كتاب ابن طفيل ، إما في متنه العربي او في احدى ترجماته ، واقتبسوا عنه . وفي السنة ١٦٥٠ ، ألف الاب بلتزار غراسايان اليسوعي الاسباني كتاباً عنونه « الكريتيكون » وضمنه حكماً واقوالا غايتها حث القراء على الزهد بالعالم تأسياً بحيّ بن يقظان.

وآخر ما انتهى الينا من عناية الافرنج المحمودة بهذا الكتاب الممتع هو ترجمته الانكليزية التي ظهرت حديثاً في مجموعة جيلة تولّى نشرها السيد دنيسون روس ، مدير المعهد اللوندني الشرقي ، وعنوانها « كنز القصص الشرقية » « *The Treasure House of Eastern Story* » وكتاب ابن طفيل حلّ في الحلقة الرابعة من المجموعة ، عُني بطبعه ، وتعليق حواشيه ، وتصديره بمقدمة مسهبة في حياة ابن طفيل وموجز تاريخ الفلسفة العربية ، السيد اسكندر س. فولتون (A. S. Fulton) المساعد في الامانة على الكتب الشرقية في المتحف البريطاني. اما الترجمة الانكليزية فهي لسمعان اوكلي (Simon Ockley) ، نقلها عن العربية سنة ١٧٠٨ (١) . أهدي الينا الكتاب ، فرحّبنا به ، وسرّنا ان نعرّف به القرّاء .

ولما كان امره مهملًا ، ولم يطبع في سورية ولبنان قط ، وطبعاته في مصر وفي الاستانة دون ما يرجى لمثل هذا الكتاب من الاتقان والعناية ، رأينا ان نخصه بمقال عسى ان نمهد السبيل الى طبعه في بلادنا ؛ فأتينا على ترجمة ابن طفيل ، وعلى ذكر شيء من اقواله يساعدنا في الوقوف على اسلوبه ، وفي التمتع بمحاسنه اللغوية ، والنظر في تعليمه الفلسفي ؛ والمقابلة بينه وبين التعليم الفلسفي المدرسي القويم ، فتتميز لنا وجوه الاتفاق ووجوه الاختلاف بين التعليمين. ومن الواجب ان ينبّه اليها تلامذة الفلسفة ، وقصة حي بن يقظان مذكورة في برنامج

---

(١) The History of Hayy ibn Yaqzan *by* Abu Bakr Ibn Tufail *Translated from the Arabic by* Simon Ockley. *Revised with an Introduction by* A. S. Fulton. *London, Chapman and Hall Limited.* 1929.

البكالوريا ، وفيها خلاصة تاريخ فلاسفة الاسلام ومعالجة المشكل الاعظم الذي طالما شغل الافكار في القرون الوسطى ، وهو الوفاق بين الايمان والعقل ، وبين الدين والفلسفة .

نشأة ابن طفيل

هو ابو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي ، ويكنى ايضاً ابا جعفر باسم ابنه الثالث ويعرفه الافرنج باسم « ابو بكر » ، او ابو باسر ، طبقاً للفظهم اللاتينية « Abubacer » . لم يبلغ الينا عن حياة هذا الرجل الكبير الا ما ذكره المؤرخون عرضاً . ولد في وادي آش في الاندلس ، في موقع مدينة غاديكس في اسبانية الحالية ، على زهاء ٦٠ كيلومترًا من شمالي قرطبة . وان ما يُتاح لنا ان نتحققه في قصة حي بن يقظان من دقة الفكر ، وبعد مرامي النظر ، وتسلسل الافكار ، مع سعة المعارف ، ومتانة اللغة ، ووفرة الالفاظ ، وصدق مطابقتها للموضوع ، وتحبيب الفضيلة والزهد في زخارف الدنيا ، لشاهد اولنا بكرامة الاصل وحسن الثقافة . ولا بدّ ان من اختاره الخليفة وزيرًا وطبيباً له ، نشأ في أسرة نبيلة غنية وفّرت له وسائل التعلّم .

روى سركيس في معجم المطبوعات وغيره من المؤلفين ان ابن طفيل قرأ على ابي بكر الصائغ المعروف بابن باجة ، وهذه الرواية صادرة عن كتاب « المعجب في تلخيص اخبار المغرب » للمراكشي ، (ص ١٧٢ ، طبعة دوزي) . وقد نقدها ابن طفيل ذاته ، في مقدمة قصة حي بن يقظان ، لما قال عن ابي بكر بن باجة ، انه « لم يعرفه » . ولعل المراكشي اراد القول : ان ابن طفيل تلقن العلم في مؤلفات ابن باجه « ككتابته في النفس وتدبير المتوحد ، والمنطق ، وعلم الطبيعة » . ولا يبعد عن المعقول ان يكون ابن طفيل قد ابتدأ العلم على بعض الاساتذة ، ورقي مدارجه بمطالعاته الشخصية عن غير استاذ ، شأن الكثيرين من النوابغ ، وهو الواضع سيرة حي بن يقظان الملقب « بالفيلسوف المتعلم بذاته » « *Le philosophe autodidacte* » هذا وقد سُمي ابن طفيل الاندلسي ، والقرطبي ، والاشبيلي اشارة الى معيشته في الاندلس ، واقامته في

قرطبة واشبيلية ، مدينتي العلوم والمعارف .

وتقلب تلامذة نجباء ، كابي اسحق البطروجي صاحب التأليف في علم الهيئة ، وعلّم الطب في قرطبة . وتنقل من وظيفة الى وظيفة ، فمن كتابة اسرار ولاية قرطبة ، الى الكتابة في ديوان ابي سعيد (٥٤٩ هـ = ١١٥٤ م) صاحب غرناطة ومالقة والجزيرة الخضراء وسبتة وطنجة ، الى الوزارة على ايام الخليفة ابي يعقوب يوسف الموحدي

منار الخلافة

وكانت دولة الموحدين في أوج عزّها ، وسلطانها يلقّب امير المؤمنين شأنَ زميله في بغداد . ولكن شتان بين خليفة وخليفة . فهذا مخفوض الجناح تحت سطوة الامراء السلجوقيين ليس له من الملك الا الخيال ، وذاك نافذ الكلمة ، قويّ الشوكة ، مطاع في الزمنيات والروحيات ، وهو من سلالة عبد المؤمن مناصر المهدي بن تومرت . ولم تكن الحروب المتواصلة بينه وبين الاسبان على حدود الاندلس الشمالية والجهاد الدائم بين العرب والافرنج عائقاً عن ارتفاع شأن الدولة الموحدية . وكان الخليفة ابو يعقوب يوسف صاحب دهاء وعزمٍ وسياسة ، فصدّ عن الهجوم اعداء الخارج ، ونشر ألوية السلم والامن في الداخل ، وامر الناس بالانصراف الى اشغالهم عن الجدال والمناقشات بالدينيات ، خشية تكدير الجوّ الاسلامي واحداث البلبال في معتقدات العامة ، لكنه اتخذ خاصته من الفلاسفة ميلاً منه الى المعارف ، واستنفاعاً بمن رأى فيهم الكفاءة للمشورة والنصح والتدبير . فقرب اليه ابن طفيل وكان « شديد الشغف به والحب له . يبقيه عنده في القصر اياماً ، ليلاً ونهاراً » .

لم يبلغ الينا من اقواله في السياسة ومن اخباره في التدبير الا القليل . لكن ذلك القليل منوّه بما في ابن طفيل من تنزهه عن الطمع بأباطيل الفانية ، وإيثاره المصالح العمومية على مصالح آل بيته ، واستخدامه نفوذه عند السلطان في سبيل احياء المعارف وتشجيع رجال العلم عليها . فكأني بالوفود يترافدون اليه لينالوا بشفاعته نعمة او وظيفة ، فيتفرّس بهم ، وبنظرة تخترق الصدور يميّز فيهم

بين القويّ والضعيف ، والمقتدر والعاجز ، ولا ينخدع بالظواهر ولا يدور في خلده زعم المحدثين الزائف ، المطالب جميع الناس بالمساواة المطلقة والحق في الحكم والتحكيم والامر والتأمير ، وهو القائل :

ما كل من شمّ نال رائحة ، للناس في ذا تباينٌ عجب ،
قوم لهم فكرة ، تجول جم بين المعاني ، اولئك النجب .
وفرقة في القشور قد وقفوا ، وليس يدرون لبّ ما طلبوا . . .
لا يتمدّى امرؤ جبلّته قد قسمت في الطبيعة الرتب .

فلا محاباة وجوه ، ولا تفضيل ذوي قربى في توزيع المراتب . قيل انه رزق ثلاثة بنين : بكر ويحيى وجعفر ، ولا يعرف التاريخ ان اباهم سعى في تقليدهم وظيفة من الوظائف .

ابن طفيل وابن رشد

بل يذكر التاريخ جهود ابن طفيل في جمع الكتب ، وتقريب العلماء وجلبهم الى الخليفة « من جميع الاقطار » . ودوّن المراكشي خبر اتصال ابن رشد الفيلسوف بالخليفة ، بواسطة ابن طفيل وسعيه . فانه « نبّه الخليفة عليه وعرفه بقدره » ، ولم يأل الشيخ ان يتنحى للغلام في مجلس الفلاسفة فيقدّمه على ذاته ويوصي به السلطان ، ويقلّده قصب السبق على نفسه . وجاءت الحادثة التي ذكرها المراكشي عن دخول ابن رشد على السلطان بمعيّة ابن طفيل محطّةً في تاريخ الفلسفة العامّ . فدفعت مفسّر ارسطو وشارحه الكبير في ميدان التأليف . ولا بد من رواية الخبر ، وهو عنوان تواضع الشيخ ونبوغ الفتى واحتشامه ، وكلا الفيلسوفين متباريان في تفضيل احدهما صاحبه على نفسه . والخبر ، على ايجازه ، صورة حياة الافكار ونزعة الاميال في العصر الذهبي العربي . نشره فرح انطون في كتابه على ابن رشد وفلسفته (ص ١٢) معرباً عن نص افرنجي ، واليك الاصل العربي :

قال ابو الوليد بن رشد :

« لما دخلت على امير المؤمنين ابي يعقوب وجدته هو وابو بكر بن طفيل ليس معهما غيرهما . فاخذ ابو بكر يثني عليّ ويذكر بيتي وسلفي ويضمّ بفضله الى ذلك اشياء لا يبلغها

قدري. فكان اول ما فاتحني به امير المؤمنين ، بعد ان سألني عن اسمي واسم ابي ونسبي ، ان قال لي : « ما رأيهم في السماء ، يعني الفلاسفة ، اقديمة هي ام حادثة ؟ » فادركني الحياء والخوف . فاخذت اتعلّل ، وانكر اشتغالي بعلم الفلسفة ، ولم اكن ادري ما قرّر معه ابن طفيل . ففهم امير المؤمنين مني الروع والحياء ، فالتفت الى ابن طفيل ، وجعل يتكلم على المسئلة التي سألني عنها ، ويذكر ما قاله ارسطوطاليس وافلاطون وجميع الفلاسفة ، ويورد مع ذلك احتجاج اهل الاسلام عليهم . فرأيت منه غزارة حفظ لم اظنها في احد من المشتغلين بهذا الشأن المتفرّغين له . ولم يزل يبسطني حتى تكلمت . فعرف ما عندي من ذلك . فلما انصرفت امر لي بمال وخلعة سنية ، ومركب .

وقال ايضاً ابو الوليد :

« استدعاني ابو بكر بن طفيل يوماً فقال لي : « سمعتُ اليومَ اميرَ المؤمنين يتشكى من قَلَق عبارة ارسطوطاليس او عبارة المترجمين عنه ، ويذكر غموض اغراضه ، ويقول : لو وقع لهذه الكتب من يُلخصها ويقرب اغراضها ، بعد ان يفهمها فهماً جيداً ، لقرب مأخذها على الناس . فان كان فيك فضل قوّة لذلك فافعل ؛ واني لأرجو ان تفي به لما اعلمه من جودة ذهنك وصفا قريحتك وقوة نزوعك الى الصناعة ؛ وما يمنعني من ذلك الا ما تعلمه من كبرة سني واشتغالي بالخدمة وصرف عنايتي الى ما هو اهمُّ عندي منه . » قال ابو الوليد : «فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب الحكيم ارسطوطاليس . »

قال المراكشي : « وقد رأيت انا لابي الوليد هذا تلخيص كتب الحكيم في جزء واحد في نحو من مائة وخمسين ورقة ترجمه بكتاب الجوامع ، لخص فيه كتاب الحكيم المعروف بسمع الكيان ، وكتاب السماء والعالم ، ورسالة الكون والفساد ، وكتاب الآثار العلوية ، وكتاب الحسّ والمحسوس . ثم لخصها بعد ذلك وشرح اغراضها في كتاب مبسوط في اربعة اجزاء » (١

وينتج من فحص « غوتيه » هذين المتنين ان الاول سبق الثاني في الزمان ، وجرت حادثته في مراكش في اوائل السنة ١١٦٩ م ، على افتراض ان ابن رشد اقبل مع وفود الاندلس لتحية الخليفة عند اتخاذه لقب « امير المؤمنين» . وكان عمر ابن رشد ٤٢ سنة ، وكان ابن طفيل قد بلغ الشيخوخة وعمره بين ٦٣ و ٦٨ عاماً ، فيكون وُلد نحو سنة ١١٠٥ .

وفي السنة ١١٨٢ ، تنحى ابن طفيل لابن رشد عن وظيفة تطبيب الخليفة ، وظل في جوار امير المؤمنين ومنوالاته . وتوفي ابو يعقوب يوسف في

١) المراكشي : المعجب ، طبعة دوزي ، ص ١٧٤-١٧٥

١٣٠ تموز ١١٨٤ ، في الاندلس ، من جراحات نالته في حصاره مدينة شنتارين في البرتغال . فخلفه احد ابنائه ، ابو يوسف يعقوب ، واحتفظ بمجبة ابيه وكتبته ووزرائه .

زهده ، وفاته

يفيدنا عبرةً وقدوةً صالحة ان نتصوَّر ابن طفيل في اواخر ايامه شيخاً مهيباً ، نال من مواهب الطبيعة ومن زخارف الدنيا ما لا يناله الا القليلون من البشر ، وهو الحظي المقرب من السلطان ، والسيد المطاع من الناس ، والاستاذ المتول بقوله . فلم يغترّ بغرور الحياة ، ولا ابتسمت له وعرضت عليه محاسنها وملذاتها ، ترفع عنها متمسكاً باهداب الفضيلة :

فامسكتُ ، لا مستغنياً عن نوالها ، ولكن رأيت الصبر أوفى وأكرما .

وشعر بدنوّ اجله ، فاغرق في الزهد ، واختلى الى نفسه مفكراً بالعالم تفكير الفيلسوف البصير بعلل الاشياء ، المحتقر اباطيل الفانية ، الراجي سعادته من مراحم ربه ، وهو القائل :

يا باكياً فرقة الاحباب عن شحط ، هلا بكيت فراق الروح للبدن
نورٌ تردد في طين الى اجل ، فانحاز علواً ، وخلّى الطين للكفن
يا شدّ ما افترقا من بعد ما اعتلقا ، اظنها هدنة كانت على دخن (١)
ان لم يكن في رضى الله اجتماعهما ، فيا لها صفقة تمت أعلى غبن .

وتوفي ابن طفيل سنة ٥٨١ هـ . (١١٨٥) ، في مراكش ، وحضر جنازته السلطان ابو يوسف يعقوب .

---

١) هدنة على دخن : اي سكون لعلة لا اصلح

(البحث صلة)

صفحة من تاريخ

الرهبانية الباسيلية الشويرية

بقلم الاب اثناسيوس حاج ق. ب.
مدير الدروس في المدرسة الاكليريكية

٤

٥ — بعض رجالها المشاهير (تابع)

٧ — المؤرخون من ابناء الرهبانية

ان لبعض آباء الرهبانية فضلاً كبيراً بتركهم للوطن مصادر تاريخية ذات قيمة جليلة ، منهم :

١ — الاب نقولا الصائغ الذي ترك للرهبانية سجلاً دوّن فيه اهم الحوادث الرهبانية ، وشيئاً من الحوادث المدنية ، وذلك من سنة ١٦٩٧ الى سنة ١٧٥٦

٢ — الاب قسطنطين الطرابلسي الذي ترك لنا في « تاريخ دير رومية نافيجلا » كل ما اتصل به عن الشرق مبتدئاً من سنة ١٧٢٩ ومنتهياً بسنة ١٧٧٣

٣ — الاب روفائيل كرامه الذي عُني بنشر تاريخه سيادة المطران العلامة باسيليوس قطان تحت عنوان « مصادر تاريخية لحوادث لبنان وسورية من سنة ١٧٤٥ الى سنة ١٨٠٠ »

٤ — الاب حنانيا المنيّر المعروف في اوربة بكتابه الشهير في ديانة الدروز الذي ترجمه ونشره القنصل Guys . فمن جملة تآليفه : تاريخ الرهبانية الحناوية الذي اتى فيه بدقة ووضوح على ذكر الحوادث الهامة في بلادنا من سنة ١٧١٣ الى سنة ١٨٠٤ . وله ايضاً تاريخ مدنيّ معروف بكتاب « الدر المرصوف في تاريخ الشوف » وهو اوفى وادق ما كُتب في تلك الايام عن تاريخ الشوف بنوع خاص ، وتاريخ سائر البلاد عموماً ، ولقد تطرّق المؤرخ الى ذكر كثير من

الامور التي جرت في سوريّة ومصر مبتدئاً تاريخه من الامراء الشهابيين حتى موت الجزار اي منذ سنة ١٦٩٧ الى سنة ١٨٠٤ . فعلى هذين المؤلّفين كان معوّل المؤرخين فيما بعد كالامير حيدر ، والشيخ طنوس الشدياق في استقاء المصادر التاريخية اللبنانية لذلك العصر .

٨ – شهيد من شهدائها الابرار

القس بطرس نمير الزحلاوي . جميل بنا ان نختتم سلسلة بعض رجال الرهبانية الافاضل بكلمة موجزة عن كاهن من ابنائها مات لاجل الايمان . على اننا لا نعرف من امر هذا الرجل القديس سوى ما ورد باختصار في تاريخ الاب روفائيل كرامه الذي اشرنا اليه ، وما وصفه به الاب نيقولاوس الصائغ في قصيدة بدؤها

اي بطرس القسّ ، تمّ الحكم فيك كما قضى الاله ، وهل ردٌّ لما حكما !

الى ان قال :

ساموك كفرًا ، فلم تكفر ، فتًى على حفظ الوديعة بالايمان معتصما .

اما ما يعرف عنه فهو انه كان سنة ١٧٤٩ مقيماً في دير سيدة راس بعلبك ، فذهب يوماً الى اخوته خارج البلدة حاملاً اليهم طعام الغداء ، فتصدى له بعض المتاولة وخيّروه بين القتل ونكران الايمان المسيحي . اما هو فقد فضل الموت شهيدًا ، وقبل ان يوقعوا به ، التمس منهم هنيهة للصلاة . فركع ساجدًا وبينا هو يسأل الله معونته لتجرع كاس الممات ، قبضوا عليه وذبحوه ذبح الشاة ، فمات فائزًا باكليل الشهادة . ويا ما احبّ هذا الاكليل الى نفوس القديسين !

تنبيه :

لقد وقع في لائحة الاساقفة من ابناء الرهبانية التي ختمنا بها القسم المنشور في الجزء السابق من المشرق ، وهم في سرد بعض الاسماء او اهمال في تحديد سني الاسقفية : فرأينا ان نستدرك هذه الهفوات هنا ، وقد انتهينا من الفصل الخاص بمشاهير الرهبانية . وعليه يجب ان يضاف الى اللائحة :

جراسيموس احد مؤسسي الرهبنة	مطران حلب	١٧٢١ – ١٧٥٤
يوسف الحكيم (او سَقَر)	مطران قاره	١٧٦١ – ١٨١٠
باسيليوس الرقتنجي (شكرالله بن نعمه شكر)	مطران حلب	١٨١٦ – ١٨٢٣

باسيليوس شاهيات (كان اسمه يوستينوس) مطران زحلة ١٨٣٦ — ١٨٦٤

ويجب ان يحذف منها :

١ً مكسيموس حنانيا ماجاني — لم يوجد مطران بهذا الاسم من الرهبانية

٢ً اكليمنضوس بيدبروس — هو نفس المطران اكليمنضوس الطيب

٣ً مخايل التركمان

٦ — اديار الرهبانية الشويرية البلدية

لا يخفى ان الرهبانيتين الحلبية والبلدية كانتا في بدء الامر رهبانية واحدة، وان الله كما سمح يوماً ان يفترق القديس برنابا عن القديس بولس لاجل فائدة النفوس ، قضى ايضاً ان ينفصل الرهبان البلديون عن الحلبيين اولاً سنة ١٨٢٣ ، بيد انهم لم يلبثوا ان اتحدوا في السنة نفسها على يد الامير بشير الشهابي ، ثم سنة ١٨٢٩ . ومنذ هذه السنة صارت الرهبانية الحلبية والبلدية متميزتين كل برجالها واديرتها ؛ غير انهما لا تزالان شقيقتين تعمل بها روح واحدة ، وتعملان على مجد الله وخير النفوس ، وان شئت قل نهراً جرى طويلاً ثم ابى ان تنحصر مياهه العذبة في ناحية واحدة فتشعب الى شعبتين ليتسنى لـه ان يؤتي الخصب والحياة في مجال اوسع .

فاذا حصرنا الكلام الآن في الرهبنة البلدية قلنا ان لها خمسة اديار ثلاثة للرهبان ، واثنان للراهبات المحصنات .

منهـا دير النبي ايلياس بزحلة الـذي شيد سنة ١٧٥٥ على ايام الخوري نيقولاوس الصائغ . ثم دير القديس انطونيوس في قصبة كفرشيما ، بني سنة ١٧٦٣على رابية عالية ترفعه فوق صحراء الشويفات فيرى البحر بمنظره المهيب. ويعلوه من الجهة المقابلة سلسلة روابي وجبـال خضراء تحيط به احاطة الهالـة بالقمر . فهناك يقضي ما تبقى من الحياة رهبـان طاعنو السن قضوا ايامهم في خدمة الدين والوطن وجاهدوا الجهاد الحسن ، فكانوا كاولئك الفرسان الذين بعد ان كافحوا اجمل كفاح، وسقطوا مثقلين بالجراح لا يستطيعون خوض المعامع من بعد ، رفعوا اكف الضراعة يؤازرون رفاقهم بالصلاة والدعاء .

دير الصابغ — هو اقدم اديار الرهبانية واعظمها يحوي ثلاث بنايات : بناية

قديمة يقيم فيها جمهور المبتدئين، وبناية جديدة يقيم فيها عمدة الرهبانية والكهنة، وبناية ثالثة منفردة وهي المدرسة الاكليريكية للرهبانية.

اما موقع الدير فهو ما بين قصبتي الشوير والخنشارة، على طبقة صخرية فوق وادي الجاجم، تحفّ به صخور واشجار اكثرها من السنديان والصنوبر الجميل.

وما خلا هذه الاديرة الثلاثة، يوجد ديران للراهبات المنتميات للرهبانية، وهنّ محصنات منقطعات للصلاة والعمل. احدهما دير في ذوق ميكائيل على اسم سيدة البشارة شيد في عهد رئاسة الخوري نيقولاوس الصائغ سنة ١٧٣٧، فكان ولم يزل مزاراً شريفاً يؤمّه كثير من اهل الصلاح والتقى. والآخر دير سيدة النياح في بقعتوته، بين مزرعة كفرديبان وبسكنتا، شرع ببنائه على نفقته الخاصة نحو سنة ١٧٦٠ احد الدمشقيين الاتقياء، المقدسي ابرهيم خير، وفرغ منه سنة ١٧٦٧ كما يشهد بذلك التاريخ المثبت فوق كنيسة الدير وهو:

اتى بالخير خيرٌ من دمشقٍ لسيدة النياح اقام ديرا
اردت كتابة التاريخ يوماً فقلت جزاك ابرهيم خيرا

١٧٦٧

٧ — الآثار التاريخية في الرهبانية

ان اجلّ الآثار التي تملكها الرهبانية الشويرية هي مطبعتها القديمة، وكنيستها القائمتان في دير الرئاسة اي دير الصابغ.

المطبعة

هي اول مطبعة عربية في هذه الارجاء. ولا عبرة بان مطبعة دير قزحيا قد سبقتها لان هذه كانت تطبع بالسريانية وبالحرف الكرشوني. اما تلك فقد اتت بكتب عربية عديدة روحية وطقسية وجدلية، وكل ذلك بحروف عربية واضحة وطبع جميل. وهي لم تزل الى الآن محفوظة بكامل ادواتها من حروفها الى امهات الحروف الى ايابها الى طوابع الاقدميي وغير ذلك، وكله في غاية الدقة والاتقان مما يدل على مهارة وتفنن مؤسس المطبعة الشماس عبد الله زاخر.

الكنيسة

ان في دير الرئابية كنيستين احداهما قديمة العهد والثانية احدث عهداً . فالقديمة المدعوة بكنيسة مار يوحنا شفيع الدير لا يعلم من تاريخها سوى انها كانت قبل تأسيس الدير بسنين كثيرة جداً فكانت بمثابة مزار للقرى المجاورة . اما الصور الموجودة فيها فانها عريقة في القدم ، فاحدثها كصورة الصابغ وصورتي السيد والسيدة يرتقي عهدها الى سنة ١٧١٠ او سنة ١٧٢٠ . وهناك صور اقدم عهداً منها بكثير من السنين وإن منها صورة عجائبية اثبتت عليها شهادات الرؤساء والاساقفة .

كنيسة القديس نيقولاوس – شرع ببنائها سنة ١٧١٩ الطيب الذكر نقولا الحصاني الدمشقي وانفق عليها نقولا الصائغ مالًا جزيلًا فاتت كنيسة متينة البناء .

فمعظم جمال هذه الكنيسة قائم في الايكونوستاز ، او واجهة الصور ، الذي صنع بعد كمال الكنيسة بزمن غير طويل ، وهو على جانب يذكر من الزخرفة والاتقان يدلّ على مهارة صانعه ووفرة ذوقه ، وصانعه احد الرهبان المتفننين الذي آتاه كل ما اتاه من التفنن على عدم تيسر الادوات اللازمة .

الايكونوستاز كله من خشب الجوز طوله ستة امتار ونصف ، وعلوه اربعة ونصف ، وقد حفر فيه تماثيل ومشاهد دينية جميلة . ففوق الباب الايمن منه يرى القديس ديمتريوس على حصانه ، ثم القديس اغناطيوس تأكله الوحوش ، وبين هذين المشهدين بشارة العذراء . وفوق الباب الشمالي قد مثل القديس جاورجيوس يقتل التنين ، ثم النبي دانيال في جبّ الاسد وقد وافاه الملاك بحبقوق النبي حاملاً اليه زاداً ، والملاك ماسك حبقوق بناصيته حسب نصّ الكتاب المقدس . وبين هذين المشهدين المتمين ترى القديس يوسف حاملًا الطفل يسوع .

ويُرى فوق صورة السيد المصلوب تُحيط به المريمات ، ثم القبر والحراس ساقطون من الرعدة ، ثم المسيحُ قائماً ظافراً . وفوق صورة السيدة القديسان بطرس وبولس يحملان قبة الكنيسة ، ثم ملاكان يحملان القربان الاقدس في

كاس ترفرف حواه الملائكة ، ثم الملك قسطنطين وامه هيلانة وقد وجدا الصليب المقدس ، وفوق كل ذلك السيد المسيح تحيط به اجواق الملائكة.

كل هذه المشاهد قد فرّغ ما حولها الا قليلا لتبقى التماثيل متماسكة . وهناك ايضاً الباب الاوسط ، وهو يتميز من البابين الآخرين بان العمودين القائمين على جانبيه حفرت فيها تماثيل السيد المسيح والرسل ، وقد افرغ قلبا العمودين وما حول التماثيل .

واما ما فوق الباب فقد استوت فيه العائلة المقدسة ، وعن اليمين يوحنا السابق شفيع الدير ، والى اليسار القديس باسيليوس الكبير مؤسس الرهبانية .

أضف الى هذا الاثر الجميل صوراً قديمة منها صورة قلب يسوع ، وصورة الوردية المقدسة ، قدمتا للكنيسة سنة ١٧٤٠ ، مما يدل على ان العبادة لقلب يسوع وللوردية كانت متأصلة اذ ذاك بين الشرقيين وبين الرهبان قادة الشعب في تلك الايام .

٨ — مآثر الرهبانية

لقد شبه البابوات الرهبانية بشجرة كبيرة ، وقد اصابوا ولاسيما انها اعطت منذ تأسيسها ثماراً كثيرة لذيذة فخدمت الدين والعلم والوطن خدمة جلى .

خدمت الدين بالرسالات التي افتتحتها في بلاد بعلبك ، وحمص ، وحماة ، وديار بكر ، وبعدئذ في الساحل وغيرها . جاء في سجل الرهبنة :

« في سنة ١٧٢١ ارسل اهل قرية رأس بعلبك الى الرئيس العام يطلبون منه كاهناً كاروزاً لكي يرشدهم في حقائق الايمان الكاثوليكي الذي سموه من الخوري ثاودوروس اذ كان عندهم فارسل لهم رئيس الخوري مكسيموس (حكيم) الذي ذهب وكرز علم وحتى انه شاع خبره . . . فارسل مطران حمص يستدعيه اليه فذهب وعلم وكرز عدة ايام ومذ ذاك تأسس هناك الايمان الكاثوليكي . . . »

وفي محل آخر

« ثم ان الاب ثاودوروس خرج من حلب في اواخر ايار سنة ١٧٢٢ . . . فمرّ على حماة وحمص وانذر اهلها بالايمان الكاثوليكي . . . »

خدمت الدين بخدمة ابنائها رعايا الابرشيات ، وبتقديمها للطائفة بطاركة واساقفة وكهنة يصح في كثير منهم ما قاله السمعاني عن موسيها . خدمت الدين بالكنائس والمدارس التي شيدتها في كثير من قرى ابرشيتي زحلة وبيروت .

ولقد خدمت العلم والوطن ليس بالمدارس الصغيرة التي كان معهودًا بها الى كهنة الرعايا الرهبان فقط ، بل بتشييدها اكبر المدارس الوطنية التي تخرج فيها اكبر صحافيي وشعراء هذه الاقطار .

فمن ينكر يا ترى ما للكلية الشرقية بزحلة من عظيم الفضل على شبيبة الوطن ، وكم ضحت الرهبانية من مال وزجال في سبيل العلم في هذه البلاد . والمدرسة البطريركية في بيروت ، وكذا الاخويات فيها ، من الذي اسسها سوى احد ابناء هذه الرهبانية ؟

واخيرًا من حفظ الطائفة وصانها من كل ضلال وانشقاق في القرنين الخاليين سوى الرهبانيات الكرزية التي كانت منائر ساطعة الضياء ، تبدد الظلمات عن هذه الارجاء ، وتري ابناء هذه الطائفة بين الاضطهادات الجمة التي حلت بهم ، وتقلبات بعض الرؤساء وغوايتهم ، الصراط المستقيم الى الكنيسة الحقيقية الرومانية منارة المنائر وام الكنائس .

بصّاره برّاجه بتشوف البخت !

حكاية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وحيدة كانت لوالديها ، تطلب العزيز الممتنع فتراه بين يديها شبّت منعمة تتنقل من مهد الترفّه الى حضن الدلال ، لا ترى الا الابتسام ، ولا تسمع الّا « يا عيني ، ويا روحي » . كان ابوها شيخ القرية وأمّها شيختها ، يفصلان في شؤون الرجال ومنازعات النساء ، وما فيهم من يحتجّ ، ولا فيهنّ من تتذمّر . وسلمى تخطر في هذا المحيط يحفّها والداها بالعناية ، وينظر اليها الجميع بعين الاعجاب والاكرام ، فيتراءى لها التسلّط من طبيعتها ، وتخال الحياة ملهاة جميلة …

ولم يكن لها ما يصرفها الى شغل عقلي ؛ لان اباها ، وهو من « المحافظين على التقاليد الصالحة » ، أبى ان يعرّضها لمفاسد العصر ، فلم يعلّمها الّا المبادئ الاولية ، مستعيذاً بالله من مضارّ القراءة بالنساء ، وشرور الكتابة ! فمالت الفتاة الى التأمّل بما كانت تسمع من اقاصيص العجائز ، واخبار بنات القرية ، فتتوسّع فيها ، وتعلّق عليها ، وتجترّها طولَ تلك الايام المتتابعة على وتيرة واحدة ، فترمي بانظارها الى ما وراء المنزل ، الى مكان ولّدته مخيّلتها البليدة ، الى عيشة تكون لحمتها الملذّات ، وسداها قلّة العمل .

هكذا كانت تتغذّى تلك الافكار ، وتتعزّى بها . تسمع باحاديث الخطب والأعراس ، فتتمنى ان يكون لها عريس ، لا عن حبّ او ميل ، بل ليقول رفيقاتها : « خُطبت سلمى . وغداً عرس سلمى . ورأينا عريس سلمى . » الى آخر ما هنالك بما حشت بــه دماغها المضطرب ، المتقلقلة فيه اسماء الاقمشة والفساطين ، والقاب الطيوب والمساحيق .

ولم تكن سلمى دميمة الخَلق ، كريهة المنظر ، فتنبو عنها العين ، وتنفر منها النفس ؛ بل كانت على قسط من الجمال وضاءة الجبين ، دعجاء العينين

تُرسل منها نظرات الآمرة المتكبرة . غير ان مواهبها الخُلقيــة لم تكن على شيء من حسنها الخارجي ، فكانت ، مع بساطة قلبها ، ضعيفة الارادة ، كثيرة التقلب ، مدّعية بانواع المعرفة ... فكان من يسمعها لاول وهلة يميل عنها ؛ ومن يعرفها يشفق عليها ، ويلوم اباها « المحافظ على التقاليد الصالحة » ...

* * *

قضت سلمى السنين من حياتها بين تزيُّن وتبرُّج واستحمام ، تنام النهــار وتساهر القمر ، الى ان ضجرت من انتظار العريس ، فاخذ التشاؤم المؤلم يدبّ في اعماق نفسها ، ويدنو من افكارها شيئاً فشيئاً .

وبينا هي في عصر احد الاعياد ، منطرحة على كرسي هزّاز في بهو المنزل ، اذ طرق سمعها صوت « نوريّة » تنادي :

بصّاره برّاجه بتشوف البخت !

فبرقت اساريرها وصاحت :

— تعالي ! تعالي !

دخلت النوريّة ، فحطّت بضاعتها . ثم فتحت جرابها ، وبعــد ان اجالت فيه يدها مرّات ، اخرجت اصدافها ، فقلبتها ، وقالت :

— الاسم الكريم ؟

— سلمى .

— تعيشين باسـمك ، يا سلمى . تفضلي وضعي يدك هنا .

فوضعت سلمى يدها بعجب . اما النورية فجمعت اصدافها ، ورمتها ثانية . وقالت :

— انت حسناء بين زينـات العرب ، يا سلمى . مستقبلـك احسن من حاضرك ، يا سلمى . بعض الناس يحبّونك ، والبعض يبغضونك ، يا سلمى . امامك سفرة طويلة تتوفّقين فيها ... سيأتيك مكتوب سارّ قريباً ، ان شاء الله ! ...

ثم سكتت النورية ، فقلقت سلمى وتمتمت :

— حسن . ولكن ... لم تقولي شيئاً ...

فابتسمت النورية ، واجابت اصدافها ثالثةً ، وقالت :

— اني ارى شاباً فكره فيك . وسيحصل نصيبٌ عن قريب ... قولي معي : ان شاء الله ! ...

فقالت سلمى : ان شاء الله ! ثم حذفت النوريةَ بما تيسَّر لها من النقود ، ودخلت غرفتها فرحةً مبتهجةً .

***

في الطبيعة البشرية ميل الى الاعتقاد ، ولو بلا شيء . فالانسان ، اذا لم يعتقد بالحقائق الراهنة ، اعتقد بالترّهات والخرافات الباطلة . وهكذا فان سلمى أُخذت باقوال النورية ، فاصبحت تعدّ الايام والليالي مترقبة وصول العريس ، منتظرة من ساعة يقظتها الى ساعة نومها على شرفة المنزل ، مردّدة بايمان حارّ قول النورية : ان شاء الله ! ان شاء الله ! ...

وحدث ان عاد ابوها ، ذات مساء ، وبصحبته شاب من معارفه كان قد رجع حديثاً من اميركة ، ورجع « موقتاً » . فلم تشكّ سلمى بانه العريس المعهود ، فاخذت بملاطفته مظهرة امامه كل ما حفظته في حياتها الماضية من التصنّع ، وكل ما اتقنته من الانفعالات . حتى خُدع الرجل بجمالها الخارجي وبحركاتها التمثيلية ، فعدّد الزيارات ، وعدّدت المظاهرات . وانتهى بأن خطبها الى والديها . وبعد ايام قلائل اقيمت حفلة العرس ، فشمل الفرح الجميع ، وتحدّث بالخبر كل نساء القرية ...

***

مضى على زواج سلمى سنتان ، ولم تُرزق ولداً . فحزنت نفسها ، واخذت بتناسي ملذّات العرس لتحوّل افكارها الى نقطة واحدة هي الحصول على ولد مهما كلّفها الامر . ولم يكن دافعها الى ذلك حبّ الامومة او رغبة التربية بل ميلها الفطري الى الظهور والتمثيل ، فكانت تود ان تكون اماً ، لتلقّبها الجارات « بأمّ فلان » ، ويقلن لها : « فرحة عريسك ! » فشغلت ذهنها الليل والنهار ، مستمدّة النصائح من العجائز الكثيرات اللواتي يترقّبن هذه الظروف لتبرّعن بآرائهنّ . اخيراً ، افتكرت بزيارة اطباء بيروت ، واستعدّت لاطلاع زوجها

على تلك الرغبة ، واذا بصوت عرفته من قبل يطرق سمعها . فارتعشت ، وأسرعت تفتح الباب . واذا بها ترى النورية صائحة :

بصّاره برّاجه بتشوف البخت !

– اهلاً وسهلاً بعجوز الخير !

– وبكِ ، يا زينة .

– تعالي ، بصّري لي !

– تكرمي ، يا زينة . تفضّلي وضعي يدكِ هنا .

وبعد اجراء العملية المشهورة ، كانت خلاصة «التبصير» ، ونتيجة «بخت الستّ سلمى» ان النورية تداويها لقاء بعض دريهمات ، وتكفل لها ولداً ذكراً بعد تسعة اشهر .

وهكذا تمّ الاتفاق ، فكانت النورية تأتي كل اسبوع الى احد المغاربة ممن اتقنوا فنّ التدجيل والشعوذة ، فيعطيها قناني ومساحيق تحملها الى منزل سلمى ، فتنتقدها هذه اضعاف الثمن مع الحلوان ، وتشرب الادوية بكل لهفة متأكدة ان بها نيل المبتغى . حتى انفقت المسكينة المبالغ الطائلة ، فانسأت البصّارة انسلال الافعى ، وتلاشى صدى صوتها في الازقة والمنعطفات

ومضت الاشهر ، فاخذ النساء يتحدّثن في اجتماعاتهنّ عن سلمى ، وعن طفلها المزعوم ؛ فمنهنّ مصدّقات ، ومنهنّ مكذّبات . اما سلمى فكانت طريحة الفراش ، تقاسي امرّ الالام .

كثر اللغط في مسألتها ، وابتدأت العجائز من ذوات القربى يزرنها في الليالي الساهرة ، فيزدن آلامها من حيث يردنَ تخفيفها ، ويقلقنها بأسئلتهنّ الباردة وملاحظاتهنّ التافهة ، حتى اذا خرجن ، قلبنَ شفاههنّ ، وتهامسنَ :

– «مسكينة سلمى ! وا ولدي ! حطّت حالها ومالها وما استفادت شيئاً ! هي مغشوشة فلنتركها في غرورها . »

ثم يرجعن في اليوم التالي ، وكلّ منهنّ تريد ان تمرّض النفساء ! . . .

بقيت سلمى خمسة عشر يوماً على فراش الآلام ، وهي لا تدري ما تعتقد . فقرّ رأي زوجها وابيها على ان يُرسلا الى بيروت ، فيستدعيا طبيباً ماهراً .

وبينا الجميع ينتظرون صامتين وصول الطبيب ، وسلمى تتقلّب يائسة من الحياة ، وزوجها يفكر حاني الرأس ، وابوها يمسح دموعه ساكتاً ، والعجائز منعطفات حولها كالتماثيل ، اذا بصوت رنّ تحت الشباك :

بصّاره برّاجه بتشوف البخت !

فتململت سلمى كأنها افاقت من حلم مزعج ، وأومأت ان ادعوها ، فتسارع العجائز ، والابتسامة على شفاههن .

دخلت النورية المعروفة ، فسلّمت على سلمى ، واعتذرت عن غيابها . ثم رمت اصدافها متمتمة . فانتعشت سلمى وصاحت :

— دخيلك ! . . .

فاجالت النورية الاصداف ثانية ، وقالت ، بعد تأمل طويل

— معك ولد ذكر كما قلت لك . . .

وكأن قوّة خفيّة خنقت الكلام في حنجرتها . فجمعت اصدافها بسرعة وسكون ، وتراجعت متخاذلةً ، مطرقةً ، مختبئة بين النساء . . ذاك انها بصرت بالطبيب داخلاً على عجلة . فانصرفت اليه الابصار ، وعلقت بشفتيه الآمال . فتقدّم وفحص المريضة الفحص الدقيق ، وما هو ان مال الى زوجها وابيها يهامسهما والاهتمام يقطّع انفاسه ، وما هو ان بدت اللوعة باروع مظاهرها على وجهي الرجلين ، حتى فهمت سلمى الحقيقة الهائلة ، وان كلّ ما سفته من المساحيق وجرعته من العقاقير لم يكن بالادوية النافعة . فصرخت صوتاً مزعجاً وأغمي عليها ، فاسرع الطبيب يعالجها بالمنعشات والعجائز يفركن يديها ورجليها .

اما النورية فانها اغتنمت تلك الفرصة ، فتغلغلت بين النساء حتى انسلّت الى الخارج ، تاركة سلمى بين الحياة والموت . وبعد ان القت نظرة اخيرة على المنزل ، رفعت جرابها باستخفاف ، وسارت متمهلة ، وصدى صوتها يرنّ في الازقة ويتموّج في المنعطفات :

بصّاره برّاجه بتشوف البخت !

جولة في المجلات

المسيحية والمدنية الغربية – المبرون وتقديسه عند الاقباط – اهمّ المقالات الشرقية في مجلّات الاستشراق

المسيحية والمدنية الغربية

ما علاقة المسيحية بالمدنية الغربية الحاضرة ؟

هذا سؤال طرحه السيد احمد الرفاعي على مجلة الشرق والغرب فاجابت : (ص ١٢٥ ، سنة ١٩٣٠)

سؤال بعث به الينا احد القراء الكرام . وليس هذا القول مستحدثاً ، وانما هو قول شائع يتردّد صداه في كل ارجاء الشرقين الاقصى والادنى . فعند ما يسمع الشرقي تعاليم المسيح ومبادئ المسيحية وما انطوت عليه من محبة وخدمة وتضحية وتقديس للشخصية البشرية ؛ وما تدعو اليه من امانة واخلاص وقداسة وعفة وطهارة ؛ عند ما يسمع الشرقي كل ذلك ، ويلتفت الى الغرب المسيحي ، يتولّاه الدهش ويتساءل قائلاً : ما هذه المدنية المسيحية وكيف يكون المسيح ملك السلام والمحبة ولا همّ لاتباعه الا اثارة عوامل الحقد والضغنا. والانصراف الى الجشع المادي والمطامع الاشعبية ؟ وكيف يكون المسيح ملك الطهر وبرّ الحياة وقداسة النفس ويحيا العالم المسيحي حياة تتناقض تماماً وهذه الحقائق ؟

هذه الاقوال وغيرها تتراود على مخيّلات الناس في الشرق : وكلما رأوا عيباً او شذوذاً في حياة الغرب راحوا يندّدون بالمسيحية ويحكمون عليها بما يرونه في العالم المسيحي من نقائص وعيوب .

ولا بدَّ لنا هنا ان نكرر القول الذي سطرناه مراراً وتكراراً على

صفحات هذه المجلة ، وهو وجوب التفريق بين المسيحية وبين المدنية الغربية ، واستئصال تلك الفكرة العتيقة البالية التي تزعم ان تصرفات الحكومات والشعوب المسيحية هي المحكّ الذي يعرف به الدين المسيحي . فلسنا نعتقد مطلقاً ان هناك مدنية مسيحية او حكومة مسيحية او شعباً مسيحياً بالمعنى الصحيح الكامل .

وهذا القول لا ينفي وجود علاقة ما بين المسيحية والمدنية الغربية. والواقع اننا اذا قسنا المدنية الغربية بمدنيات العصور الماضية او المدنيات الاخرى — القائمة على اديان غير مسيحية — وجدنا المدنية الغربية درّة مرصعة في تاج الحضارات العالمية الاخرى . واما اذا قسنا المدنية الغربية بأقيسة تعاليم ومبادئ المسيح فهنا — وهنا فقط — تبدو لنا نقائصها وعيوبها .

ألا يرى حضرة السائل الكريم فضل المسيحية على المدنية الغربية ؟ ألم تقض على ضروب القسوة ، وتهذّب العاطفة البشرية حتى وسط الحروب والمظالم ؟ الم تعتق العبيد ، وتمنع السخرة ، وتنصر الحرية الشخصية ، والقومية ، وتشفق على المرضى ، وتواسي اليتامى والارامل ، وترفع مكانة المرأة ، وتحمي ضعف الطفولة ؟ الم تقدّس العمل ، وتطهّر العلائق البشرية والعائلية ؟ الم تدفع المشرعين ورجال الاصلاح للعمل على صيانة الاداب العامة وقواعد الحق والعدل والشرف ؟

كل هذه المظاهر وغيرها التي تتصف بها المدنية الغربية انما خلعتها عليها مبادئ وتعاليم المسيح . اما ما نراه من سيئاتها فراجع الى حيدة تلك المدنية عن الاخذ بالمبادئ المسيحية الصحيحة.

وبيّن الكاتب بكامل الوضوح كيف ان المسيحيّة ليست ميزة الغرب دون الشرق . وهي ، وان تكن قوية النفوذ في الخافقين بواسطة نفوذ الامم القابضة على زمام العالم ، الدائنة بدين المسيح ، فليست قوتها مؤسسة على قوة الغرب ، بل الغرب آخذ عنها او عن المسيح وتعليمه ، اساس محاسنه وخيراته . اما كون الكثيرين من الغربيين مبتعدين عن المبادئ الانجيلية فابتعادهم جملةً سببه عدم اهتدائهم هداية صادقة في أصل تنصّرهم ، ذلك مما اثر في باقي تاريخهم ، كتنصّر المسكوب بتنصّر امبراطورهم ، فقدكان مشوهاً في اصله ، غير مستق مبادئه من المناهل الانجيلية الصافية : تعمّد الشعب المسكوبي ولم ينبذ خرافاته كلها ولم يؤمن ايماناً متنوّراً ، مما يفسّر الحالة التعيسة الروسية في زماننا بعض التفسير ؛ اقول بعض التفسير ، لان

اس فساد الامم وانقلابها من الخير الى الشرّ مشكل مترامي الاطراف ، واصله تنازع عاملي الخير والشر في الانسان الحرّ . فالدين ، وان يكن دوبًا صحيحًا ، فلا يقوى دائمًا على حرية الانسان ليحول دونه ودون المحرّمات .

ومما نرى مفيدًا في زيارته على جواب الرصينة ودليلًا على ان الدين المسيحي براء من مساوئ المدنية الغربية هو احتجاج رجال الدين عليها ؛ وما ان تطالع الصحف والمجلات الاوربية الدينية حتى تكون على بيّنة بان الداء ، وان يكن عضالًا ، فمالجته قائمة على قدم وساق . وان تكن الادوية غير ناجعة ظاهرًا على ما يرام ، فهي بالحقيقة تفعل مفاعيلها الحيويّة . وهناك ايضًا نظرات لا بد من مراعاتها للالمام باطراف المشكل : منها ان الشر سريع المجاهرة كثير الضوضاء ، اما الخير فيختفي تحت اجنحة الحشمة والتواضع والكفران بالذات . وكونه خفيًا لا يجعله اقل من الشر وجودًا ونفوذًا . وان توهم البعض ان المسيحية مزعزعة على اساساتها بما يحكمون عنها من مظاهر الفساد الآتي من الغرب فهؤلاء حقيقون بان يقرأوا ما كتبه المنفلوطي في هذا الصدد منذ عشرين سنة ولا يزال لكلامه وقعه الحالي ، قال (١ :

يريد المصري ان يقلّد الغربيَّ في نشاطه وخفته فلا ينشطُ الا في غدوته وروحته ، وقعدته وقومته ، فاذا جد الجد وأراد نفسه على ان يعمل لنفسه عملاً من الاعمال المحتاجة الى قليلٍ من الصبر والجلَد والكد كان المللُ أسرع الى نفسه من الماء الى الحدور

يريد ان يقلده في رفاهيته ونعمته فلا يفهم منها الا أن الاولى التخنثُ في الحركات ، والثانيةَ الترددُ على الحانات

يريد ان يقلده في الوطنية فلا يأخذ منها الا نعيقها ونعيبها وصريرها وصفيرها فاذا قيل له هذه المقدمات فأين النتائج أسلمَ رجليه الى الرياح الاربع واستنَّ في فراره استنان المهر الأرن ، فاذا سمع صفير الصافر مات وجلاً ، واذا رأى غير شيء ظنه رجلا

يريد ان يقلده في السياحة فلا يزال يترقب فصل الصيف ترقب الطبيعة المائتة فصلَ الربيع حتى اذا حان حينُه طار الى عواصم اوربة طيران حمام الزاجل لا يبصر شيئاً مما حوله ولا يلوي على شيء مما وراءه حتى يقعَ على مجامع اللهو ومكامن الفجور وملاعب القمار ، وهنالك يَبذل من عقله وماله ما يعود بعده فقير الرأس والجيب لا يملك من الاول الا ما يقوده الى طريق الباخرة التي تحمله

١) النظرات ، الجزء الاول ، ص ١٠٢ ، طبعة ١٩٠٩

في أوبته ، ولا من الثاني اكثرَ من الجمل الذي يدفعه للصحافي ليكتبَ له في حوادث صحيفتـه حادثة عودته ، موشاة بجمل الاجـلال والاحترام ، مطرزة بوشائع الاكرام والاعظام

يريد ان يقلده في العلم فلا يعرفُ منه الا كلماتٍ يرددها بين شدقيـه ترديدًا لا يلجأ فيه الى ركنٍ من العلم وثيق ولا يعتصمُ به من جهل مُشين

يريد ان يقلده في تعليم المرأة وتربيتها فيقنعهُ من علمها مقالة تكتبهـا في جريدة او خطبةٌ تخطبها في محفل ومن تربيتها التفننُ في الازياء والمقـدرةُ على سحر النفوس واستلاب الالباب

هذا شأنه في الفضائل الغربية يأخذها صورةً مشوهة وقضيـة معكوسة لا يعرف لها مغزى ولا ينتحي بها مقصدًا ولا يذهب فيهـا الى مذهب فيكونُ مثله في ذلك مثلَ جهَلة المتدينين الذين يقلدون السلفَ الصالح في تطهير الثياب وقلوبهم ملأى من الأقذار والاكدار وفي اداء صور العبـادات وان كانوا لا ينتهون عن فحشاء ولا عن منكر والذين يتشبهون بعمرَ في ترقيع الثياب وان كانوا أحرص على الدنيا من صيارفة الاسرائيليين

اما شأنه في رذائلها فانه اقدر الناس على اخذها كما هي فينتحرُ كما ينتحر الغربي ويُلحد كما يلحد ويستهتر في الفسوق استهتاره ، ويترسم في الفجور آثاره.

روينا الكلام، والعهدة على المنفلوطي ، وهو مبالغ في وصفه ، شأنه في الكثير من مواقفه البيانية ، وحسبنا التنويه برجالات مصر العظـام من بلغوا بمشاريعهم الى مستوى مشاريع الامم العظمى في مرافق الاقتصاد والفن والتعليم وقـد تعالـوا على الغرب، فنكون على بصيرة من الحقيقة .

ولكن العبرة الثابتة هي ان الانصاف في الحكم العام على الشعوب عسير جدًّا . . . وعلى كل ، فقد راقتنا النتيجة التي استنتجها صاحب الشرق والغرب من مقاله وهي: ان المسيحية لا شرقية هي ولا غربية ، بل هي فوق الامم والشعوب بمباديها وغاياتها . وقال :

وللشرق ان يقتبس من مدنية الغرب ما يشاء كثيرًا كان ام قليلًا . ولسنا ننكر ان فيها كثيرًا من مظاهر الجمال والنفع . ولكنه يستطيع ان يقبـل المسيحية دون ان يقبل المدنية الغربية ولا ينسب الى المسيحية ما يراه في تلك المدنية من نقائص وشوائب .

الميرون وتقديسه عند الاقباط

لا تسأل البروتستانت الاتفاق على تعليم ثابت أكيد في عدد اسرار البيعة وطبيعتها . لان مبدأهم الديني الاساسي القائل « بالفحص الحرّ » وبعدم التقيّد بالسلطة الظاهرة الواحدة ، يؤدي بهم الى اختلاف الآراء بتعداد الاسرار وتحديد طبيعتها . فمنهم من قال ان الاسرار اثنان فقط ، ومنهم من قال انها خمسة ، ومنهم من وافق الكنيسة الجامعة شرقاً وغرباً على القول انها سبعة ، ومنهم صاحب مجلة الشرق والغرب. نشر للسيد توفيق بك اسكاروس مقالاً على الميرون وتقديسه ، واعرب عن احترامه لتعليم الكنيسة القبطية من غير ان يُبدي اعتقاده الشخصي بسرّ الميرون .

ومن المعروف ان الميرون المستعمل في الاسرار هو نوع من الزيت المطيّب . وقد تختلف تشكيلات ذلك الطيب مع اختلاف الطقوس ولا تعارض الكنيسة الكاثوليكية في استعمال تلك الطيوب ، على شرط ان تكون كمية الزيت فيها كافية للمسح. وراقنا ما كتبه السيد اسكاروس في طريقة صنع الميرون عند الاقباط فقال (ص ١٣٦) :

وموجز هذه الطريقة هي ان يأمر البطريرك قبل الصوم المقدس بشراء الافاويه التي يتركب منها الميرون المقدس ، وعددها ٣٨ صنفاً بمقادير معينة يضاف اليها دهن البلسان والزيت بمقدار معين ايضاً فيكون المجموع ٤٠ صنفاً

وتقسم الثمانية والثلاثون صنفاً الى اربع مجموعات يؤتى بكل مجموعة على حدتها ويصلى عليها في اوقات معينة ولكل وقت صلوات خاصة : -

١ يبدأ البطريرك بسحقها سحقاً جيداً في الاسبوع الثاني من الصوم المقدس ، بوجود المطارنة والاساقفة الذين يعملون مع غبطته ويساعدهم جماعة من الرهبان .

٢ وفي الاسبوع الثالث يوضع مسحوق المجموعة الاولى في الماء النقي المرشح ساعات معينة ، ثم يطبخ بزيت الزيتون ويصفى .

٣ يطبخ مسحوق المجموعة الثانية بعد ان ينقع في الماء مضافاً اليه مطبوخ المجموعة الاولى ويصفى ، ويطبخ مسحوق المجموعة الثالثة مضافاً اليه مطبوخ المجموعتين الاولى والثانية ويصفى .

٤ يطبخ مسحوق المجموعة الرابعة مضافاً اليها مطبوخ المجموعات الثلاثة

ويصفى ، ويكون هذا المطبوخ الاخير هو الميرون المقدس .

ويتم كل ذلك بصلوات معيّنة تقرأ في اثناء السحق والطبخ والتصفية . وفي يوم خميس العهد يصلي البطريرك قداساً حبرياً خاصاً بالميرون ، وكذلك يوم السبت (سبت الفرح او سبت النور) وقبل عيد الفصح ، وفي سحر عيد الفصح يضيف البطريرك الخميرة الباقية من الميرون الى الميرون الجديد ، وتستمر اقامة القداسات الخاصة بالميرون الى يوم الاحد التالي لعيد الفصح (وهو المعروف بالاحد الوحيد او احد توما) ثم يحفظ ذخيرة مقدسة بعد ما يوزع جانب منه على الكنائس للخدمة.

وعرض السيد اسكاريوس اسماء مفردات الميرون على الاستاذ مايرهوف ، فبين سياغها باللغة الفرنسية وهذه هي :

الطبخة الاولى — يؤخذ نوار التندول وهو الدارشيشعان المعروف الان بزهر الفتنة (بضم الفاء) (*Fleurs de l'Acacia Farnesiana*) : ١٦ درهماً وثلثان .

عيدان السليخة وهي القرفة الخشبية (*Cinnamonum Cassia*) : ٢٠ درهماً .

الحُمام المعروف الآن بتين الفيل (*Amomum*) : ٢٠ درهماً .

اصل السوسن الاسمانجوني (*Racines de l'Iris bleue*) : ٦ دراهم وثلثان .

قصب الذريرة (*Calamus aromaticus*) : ٢٠ درهماً . وفي نسخة اخرى ١٠ دراهم

الطبخة الثانية — يؤخذ قسط زبدة (*Costus*) : ٢٠ درهماً .

ورد احمر عراقي متروع الاقماع (*Roses rouges de l'Iraq*) : ٢٠ درهماً . وفي نسخة اخرى ١٢ درهماً .

صندل مقاصيري ابيض مدقوق مسحون (*Bois de santalete Macassas*) : ٢٠ درهماً .

قرفة وقرنفل وعيدانه (*Cannelle et girofle*) : ٢٠ درهماً . وفي نسخة اخرى ١٢ درهماً .

الطبخة الثالثة — يؤخذ زرنباو ، والان كافور الكعك (*Curcuma numbat*)، وهي حشيشة تشبه السعد : ٢٠ درهماً .

قشور السليخة الحمراء الجيدة (*Ecorce de Cinnamomum Cassia rouge*)
٦ دراهم وثلثان. وفي نسخة ٧ دراهم.
جوز بوا ركبار (جوزة الطيب) (*Noix muscade*): ٣ حبات او زات وثلث. وفي نسخة ١٥ وثلث
سنبل الطيب عصافيري — الخزامى اولاوندا بالافرنجية (*Lavande*): ١٠ دراهم
قرنفل (*Cannelle*): ٦ دراهم وثلثان.
بساسة = داركسته (*Macis en feuilles*): ٦ دراهم وثلثان.
الطبخة الرابعة — يؤخذ اصطرك ابيض — ميعة سائلة (*Storax liquide*) ٢٦ درهماً وثلثان.
دار صيني العين (*Cannelle de Chine*): ١٦ درهماً وثلثان.
زعفران شعر (*Filaments de Safran*): ١٣ درهماً وثلث. وفي نسخة ١٢ درهماً ونصف.
عود هندي (*Bois de l'aloès*): ٦ دراهم وثلثان. وفي نسخة ١٢ درهماً.
هناك ايضاً صفة الدرور وهي ان يؤخذ دار صيني العين وسنبل الطيب منقى: ٢٠ درهماً، وعود هندي: ٢٠ درهماً، وقشور سليخه حمراء: ٢٦ درهماً وثلثان، وبساسة (داركسته): ٦ دراهم

ولا بأس من ذكر صفتها: تدق هذه الحوائج وتنخل بمنخل حرير ارق ما يكون ويضاف يوزن ستين درهماً دهن بلسان خالص، ويحلّ العطر مع الزيت المطبوخ في الزجاجة، ويحرك في كل يوم مراراً سبعة ايام، ثم يرفع ويؤخذ من صفوه عند التقديس.

وان في هذا التفنّن الغريب بصنع الطيب الموافق عليه من الكنيسة الجامعة لشاهد على ان الاختلاف بالرضيات والطقوس الخارجية لا يضرّ بوحدة الايمان، ان كان الاتفاق تاماً في العقائد الاساسية. فيا ليت اخواننا الاقباط الارثوذكس ينظرون الى قرب المسافة بينهم وبين الكثلكة وبعدها بينهم وبين البروتستانت، ويلتمسون السبيل الى الاتحاد بالكنيسة الجامعة باقرب الطرق اليها وهي طريق رومة.

ف. ت.

اهم المقالات الشرقية في مجلات الاستشراق

ORIENTE MODERNO. *Anno X, n° 11, novembre 1930* الشرق المصري
A. Giannini, *La Costituzione dell'Iraq, p. 525-546*

دستور العراق

بحث دقيق في ١٦ فقرة عن دستور العراق الجديد ، يختمه الكاتب بملاحظات مفيدة منها ان الشعب العراقي ، ان كان هناك عنصر واحد يدعى بالشعب العراقي ، لا يستند الى شيء من التقاليد الدستورية التي تمكنه من اصلاح نقائص الحكم البرلماني . ويعتبر الكاتب ان الطراز الغربي للدستور نُقل الى العراق دون معرفة ، فطُبّق في غير دقة ، وذلك انه تُرك جانب مهم من محاسن الدستور ، وبولغ في الكثير من مساوئه . فغدا النظام غير متوازن السلطات ، لان محور الحياة السياسية يدور حول مجلس النوّاب وحده .

ORIENTALISTISCHE LITERATURZEITUNG, *33 Jahrg. n° 11, novembre 1930* مجلة الآداب الشرقية
A. Schaade, *Ahmed Teimūr Paša und die arabische Renaissance. col. 854-859.*

احمد تيمور باشا والنهضة العربية

مقالة تزينها العاطفة والاعجاب خطّها الكاتب بالعالم العربي المصري احمد تيمور باشا المتوفى ، في القاهرة ، في ٢٦ نيسان ١٩٣٠ . فامتدح من معارفه في جميع العلوم العربية ، وخصوصاً في اللغة ، وخصّ بالذكر مكتبته التي صرف حياته في جمعها فبلغت مجلداتها ١٣,٠٠٠ نصفها تقريباً من المخطوطات او صور المخطوطات . وقد شاء الفقيد ان تُوقف هذه الثروة العلمية فتُحفظ بكاملها .

ORIENS CHRISTIANUS. *Dritte Serie, fünfter Band, 1 Heft. 1930*
Prof. D. Dr. F. Stummer, *Einige Bemerkungen zur Geschichte des Karmels. p. 15-18*

هي ملاحظات مفيدة على كتاب حديث نشره الدكتور كوپ .Dr Cl. Kopp
بعنوان النبي الياس والمسيحية في الكرمل (*Elias und Christentum auf dem Karmel.*)

BULLETIN OF THE SCHOOL OF ORIENTAL STUDIES. London Institution. *vol. VI, part 1, 1930* نشرة مدرسة الدروس الشرقية في معهد لندن

Sir Arnold T. Wilson, *Earthquakes in Persia, p. 103-121*

الزلازل في بلاد فارس

مقال ممتع ، مردف بخارطة ، عن الزلازل في بلاد فارس والعراق وما جاورها ، من السنة ٥٥٠ بعد المسيح الى السنة ١٩٣٠ ، مع ذكر المآخذ اللازمة ، وتحديد درجة القوة لكل من تلك الزلازل .

RENDICONTI DELLA R. ACCADEMIA NAZIONALE DEI LINCEI, Classe di scienze morali, storiche, *serie sesta. vol. V, fasc. 11-12, nov-dec. 1929* نشرة أكادمية لنجي

Angela Codazzi, *Il Compendio geografico arabo di Ishaq ibn al-Husayn. p. 373-463*

التصنيف الجغرافي العربي المنسوب لاسحق بن الحسين

يدرس المؤلف مخطوطة جغرافية من المكتبة الامبروسيانية في ميلانو ، وينشرها مع حواش وترجمة ايطالية ، وعنوان المخطوطة : « كتاب اكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان . »

GAZETTE DES BEAUX-ARTS. *décembre 1930* صحيفة الفنون الجميلة

Paul Deschamps, *Au temps des Croisades. Le château de Saone, dans la principauté d'Antioche. p. 329-364.*

قلعة صهيون ، في امارة انطاكية ، على عهد الصليبيين

هي القلعة التي لا تزال قائمة في دولة اللاذقية ، خص بها الكاتب بحثاً ثرياً دقيقاً زينه بالكثير من الصور والرسوم ، فاتى فريداً في بابه .

THE GEOGRAPHICAL JOURNAL. *Décembre 1930* المجلة الجغرافية

خص هذا العدد بذكرى مرور مائة سنة على تأسيس الجمعية الجغرافية فحوى المقالات النفيسة عن العالم المسكون او القابل للسكن ، منها مقال عن « فلسطين وثبوت مناخها » بقلم الاستاذ غريغوري (J. W. Gregory) وآخر عن « امكان السكنى في صحاري بلاد العرب » بقلم الدون روتر (E. Rutter) الذي قام ، سنة ١٩٢٥ ، برحلة الى جزيرة العرب ، ثم نشر عن ذلك مجلدين بعنوان « الحرمين » : « *The Holy cities of Arabia* » .

شذرات

آثار من الفسيفساء في الاوزاعي

عُثر في محلة الاوزاعي، جنوبي غربي بيروت، على بعد ٣٠ متراً عن شاطئ البحر، وعلى عمق بضعة سنتيمترات عن سطح الارض، على مكان غرفة كانت مفروشة بالفسيفساء. تمثل اشجاراً من نوع السرو، وطيوراً من انواع الحجال والديكة وما شاكلها، واسماكاً، واواني جميلة الشكل، وذلك ضمن اشكال هندسية من نوع المعيّنات. وحول الفسيفساء إطار في زواياه آنية تخرج منها افنان وعرانيس من شجر الكرم، وفي وسطها اثمار كالرمان وعناقيد العنب. اما مساحة الغرفة فخمسة امتار طولاً باربعة عرضاً. واما عهدها فيرقى الى العصر الروماني.

كيف يتزوج بعض المهاجرين

قرأنا في مجلة «العرفان» التي تصدر في صيدا (١٩٣٠: ص ٦٣٦) سؤالين أُلقيا عليها من الارجنتين بعنوان «الزواج عند الخوري» و«الشهادة لمسلم بانه مسيحي.» فاجابت عليهما بما يلي. ننقل ذلك للتفكهة:

١ — «س ما قولكم سيدي في رجل (مسلم) تزوّج عند الخوري في هذه البلاد وسأله الخوري عن دينه فقال بأنه مسيحي. فهل خرج عن دين الاسلام، وهل له توبة؟

«ج ان كان ما قاله رتّب عليه الآثار فقد خرج عن الاسلام وان كان باللسان فقط فيعدّ لغواً.»

٢ — «س ما قولكم في رجل مسلم شهد على اخيه المسلم عند الخوري بانه مسيحي ليتمكن من زواج مسيحية من هذه البلاد؟

«ج الشهادة لا تجعله مسيحياً، واذا اجرى الصيغة الشرعية للمرأة التي تزوّج بها صحّ زواجه.» (اه.)

المشمش المجفف وقمر الدين في سورية

نقلت «صحيفة التجارة والصناعة» المصرية (نوفمبر ١٩٣٠) عن مجلة الفاكهة الكاليفورنية (*California Fruit News*) بعض المعلومات عن المشمش المجفف ومحصوله في سورية رأينا من المفيد ايرادها، قالت:

المشمش من اهم محاصيل الفاكهة التي تنتجها سورية. ولكن انتاجه ضيق النطاق، وفيما يلي بيان عن انتاجه في السنوات الاخيرة:

سنة	سورية (طن صغير)	لبنان (طن صغير)	المجموع
١٩٢٦	١٩٧٣٠	—	١٩٧٣٠
١٩٢٧	٢٧٩٦٠	—	٢٧٩٦٠
١٩٢٨	٢٥٧٦٠	٣٣١٠	٢٩٠٧٠
١٩٢٩	٢٣١٠٠	٣٩٠٠	٢٧٠٠٠

ولا أهمية لما تنتجه سورية من المشمش المجفف اذ يتراوح مقداره بين ٦٠٠ طن و٧٥٠ طناً في السنة. وقد نمي الينا ان ما أنتج منه في دمشق الشام، سنة ١٩٢٧، هو ٦٥٠ طناً مقابل ٢٥٠ طناً سنة ١٩٢٦. وتستهلك مصر ٦٠ بالمئة من المشمش المجفف الذي تنتجه سورية، وما يستهلك منه داخل سورية فهو ٢٥ بالمئة. اما الباقي، وهو ١٥ بالمئة فيصدر الى تركية وشبه جزيرة العرب. وقد كان المحصول الرئيسي الذي تنتجه سورية من صناعة المشمش هو «قمر الدين»، وليس عندنا بيان عن مقدار الانتاج من هذا الصنف. ولكن قمر الدين الذي صدر من دمشق الشام بلغ ١٤٠٧ أطنان في سنة ١٩٢١، و١٥٠٦ في سنة ١٩٢٢، و٣٦٥٥ في سنة ١٩١٣. وقد قلت الطلبات على هذا الصنف. ومن المعلومات التي انتهت الينا ان مصر تستهلك ٨٥ بالمئة من قمر الدين المصدر من سورية، اما الباقي فيستهلك في الاناضول وممالك البلقان. ويلوح لنا من البيان السالف أن مشمش سورية لا يزاحم مشمش كاليفورنية لان معظمه يستهلك في الاسواق المصرية، بينا أسواق اوربة هي اهم الاسواق التي تستهلك مشمش كاليفورنية المجفف، ولم يرد قطعياً من مشمش الولايات المتحدة لمصر الا ما قيمته عشرة أطنان في سنتي ١٩٢٧ و١٩٢٨.

مطبوعات شرقية جديدة

Forschungs-Institut für Geschichte der Naturwissenschaften in Berlin. Dritter Iahresbericht mit einer wissenschaftlichen Beilage der Zusammenbruch der Dschabir - Legende, die bisherigen Versuche, das Dschâbir - Problem zu loesen, von **Julius Ruska**, Dschâbir ibn Hajjan und die Isma'ilijja, von **Paul Kraus**. *Berlin* 1930. *Verlagsbuchhandlung Julius Springer.*

رسالتان في جابر بن حيَّان واسطورته وآثاره

هما رسالتان غايتهما ايضاح تلك الاسطورة التي أُلّفت حول شخصية الكيماوي العربي المشهور جابر بن حيّان ، وحول آثاره المختلفة . وقد زعموا ان هذا الكيماوي كان تلميذًا لجعفر الصادق سادس ائمة الشيعيين . اما ما نسب اليه من المؤلفات فقد تُرجم اكثرها الى اللغة اللاتينية . الا ان هذه منحولة ، على ما يظهر ، وكذلك اكثر ما ينسبه اليه ابن النديم في كتاب « الفهرست » . بقي قليل من الآثار يمكن القول بانها صحيحة النسبة الى جابر ولكن المؤلفين الذين نصفهما يبرهنان انها متأخرة عن القرن التاسع ، وانها مكتوبة بقلم مجهول من شيعة الاسماعيليين يمتّ بنسبه الى الوسط الذي نشأت فيه ، بعد ذاك ، رسائل اخوان الصفا . هـ. ل.

Usâmah's memoirs entitled Kitâb al-I'tibâr by **Usâmah ibn Munqidh**. *arabic text edited from the unique manuscript in the Escurial library, Spain, by* **Philip K. Hitti**. [*Princeton Oriental Texts vol. I*] in-8° 240×45 *pp.* 1930. *Princeton, Princeton University Press.*

كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ

قام المستشرق ديرنبورغ بالطبعة الاولى لهذا الكتاب فجاء فيها كثير من القراءات الفاسدة او المشكوك في صحتها . فأتى على ذلك الدكتور حتّي ، وقابل الطبعة بالمخطوطة الوحيدة المحفوظة في مكتبة الاسكوريال . فنجح في اصلاح كثير من الهفوات والنقاط الغامضة التي لم ينتبه لها ديرنبورغ ، على

تدقيقه المشهور . ثم علّق على النصّ حواشي عديدة مفيدة بعد ان قدّم عليه مقدّمة ضافية . اما انشاء أسامة فركيك مضطرب يجاور لغة العوامّ في عصرنا . ومهما يكن من أمره فاني اهنئ محرر الكتاب ، الدكتور حتي ، على العناية التي عُني بها في عمله . ولكني لا اشاطره هوسه في اعتقاده باخلاص أسامة . فاني ارى البطل قد بالغ في عدد ما ارداه من الاسود ، كما انه غفل عن شرح تخاذله وجبانته في الدفاع عن بيروت ضدّ الصليبيين ، مما دفع صلاح الدين الى ان يحقد عليه حقـدًا مشروعاً . ثم لا اعلم هل يوافق اعضاء المجمع العلمي الدمشقي على هذه الملاحظة للمحرر في مقدمته (ص : ت) : « ولو ان أسامة عاش اليوم لكان بلا ريب عضوًا عاملاً في المجمع العلمي العربي » ، ولغة أسامة أبعد ما تكون عن لغة اعضاء ذاك المجمع ؟ ه . ل .

L.A. Waddell : Egyptian civilization, its sumerian origin and real chronology. An sumerian Origin of egyptian hieroglyphs with 21 plates, 97 text illustrations and 2 maps. *in-8°*, 223 *p.* 1930. 12/6 *net. Luzac and C°, London.*

المدنية المصرية واصلها الشومري

وصف المشرق سابقاً (٢٨ [١٩٣٠] : ٥٥٠) كتاباً اوّل للمؤلف عنوانه « صناع المدنية » فاظهر ما فيـه من الجرأة والغرابة في النظريات . وها ان الكاتب يردفه بتأليف ثانٍ يدلّ عنوانه الدلالة الصريحـة على آراء المؤلف ، فهو يعتقد ان المدنية المصرية شومرية الاصل . وقد وجّه دروسه ، في البرهان على هذه النظرية ، الى أسرة منس خصوصاً (Menes) فيكون منيس هذا ، في نظره ، ابن سرغون الكبير ، ملك ما بين النهرين ، واذًا فهو نفس منيس (Manis) المعروف في ما بين النهرين . ويتابع المؤلف نظريّته فيزعم ، ان هذا الامير ، قبل ان يستلم مصر من ابيه ، كان رئيساً اعيلام ، وزعيماً في وادي الهندوس . ثم يتحوّل الى ذكر باقي الملوك من سُلالة منيس من الـذين يرى اسماءهم في لوائح ملوك الهنود الآريين . ثم ينتهي بان يبيّن اهمية هـذه الاكتشافات لتغير مجرى التاريخ العام في ما خصّ العالم القديم . ج . ل .

**Charles Picard : ** Les origines du polythéisme hellénique. L'art créto-mycénien. [*Collection Art et Religion*] *vol. in-8° avec 24 planches hors texte en phototypie. broché* : 20 *f*. *Paris, H. Laurens, éditeur.*

اصل الشرك اليوناني والفنّ الاقريطشي – الميقني

لقد اظهرت الحفريات ، منذ نحو ثلاثين سنة ، في كنوسوس من جزيرة اقريطش آثارًا فنية غاية في الاتقان دلّت على تقدّم مهمّ في الفنّ القديم ، وشبه غريب بما نراه اليوم من آثار الفنّ العصري . وهو ما يمكن الاطلاع عليه بدرس الصور المتقنة التي تزيّن هذا الكتاب . على ان تلك الآثار تدلّ ايضًا دلالة واضحة على تنوع الى الشرك بتعداد الرموز الى الالهة المختلفة ، وهو ما درسه الكاتب فرأى ان ذاك الفنّ تأثر ، في مظاهر شركه ، بالمؤثّرات الشرقية ، فتخيّل الالهة باجسام غريبة تشمل الجسم البشري ايضًا ، وتدلّ كلّها على روح مشبّهة متعدّدة الرموز . وسيخصّ المؤلف مجلدًا ثانيًا بذكر التطوّرات التي حصلت في الفنّ المذكور في العصر الهوميري ، مشيرًا الى ما اقتبسه هذا الشرك من الصوفية المينوية فتحوّل من مذهب شعري محض ، الى ديانة فيها قسط وافر للتطبيق على الاعمال البشرية . ج . ل .

**J. Bidez : ** La vie de l'empereur Julien. *in-8°*, X-408 *pp. Paris,* « *Les Belles-Lettres* » 1930. *Prix* : 25 *f*.

حياة الامبراطور يوليانوس

ان الامبراطور يوليانوس ، الذي لم يبلغ ملكه السنتين (٣٦١–٣٦٣) لمن ادعى شخصيات التاريخ الروماني لاختلاف المؤرّخين وتباين احكامهم . فبينا التقليد المسيحي ، يسمه بلقب « الجاحد » ويجعله في عداد الظلّام المضطهدين ، يمكن لتبّاع « حرية الفكر » ان يسيروا وراء ڤولتير فيسموه « الرجل الثاني » (بعد مرقس اوريليوس) بل يمكنهم ان يسموه « الرجل الاول » .

هذا ولم يكن اجدر من السيد بيديه (Bidez) ، الاستاذ في جامعة غاند ، بوصف هذه الشخصية الغريبة وصفًا دقيقًا متدققًا ، وهو يدرس منذ السنوات العديدة آثار يوليانوس ، ومحيطه ، والعصر الذي نشأ فيه . وذاك

عصر الامبراطرة الميالين للبدعة الاريانية ، وقد انتشرت فيه النصرانية بسرعة عجيبة بعد قسطنطين ولكنها صادفت كثيراً من مظاهر الخيبة (ص ٨٢ وما بعدها) ويمكننا الاطلاع على هذا العصر بالاستناد الى شخصيّتين بارزتين في كتاب الاستاذ بيديه : اولاهما شخصية تيوفيلوس الهندي الذي كان اولاً مرسلاً في بلاد اليمن ، ثم اصبح اسقفاً يشفي المرضى بعجائبه فتوصل الى الحصول على نفوذ واسع في بلاط كونستانس (ص ٣٦ وما بعدها) وثانيتهما شخصية فيناسوس ، اسقف اليون ، الذي استقبل يوليانوس كما يستقبله المطّلع على أسرار تدفعه في ما بعد الى الانتقال الى الوثنيّة فيُصبح كاهناً من كهانها ، ولكنه ، حتى في ديانته الجديدة ، يحدث قلقاً لرؤسائه الوثنيين (ص ١٠٠—١٠٣) . في هذا المحيط ، لا يظهر يوليانوس بمظهر المفكر الحرّ الذي يثور على العقائد ، بل بمظهر الصوفي المنوّر الذي يلبي داعي قلبه فيعود الى عبادات اجداده . على انه يحتفظ ، من مسيحيّته ، بالاهتمام بحسن الاخلاق ، فيظلّ عفيفاً ، ويسهر على «حياته الداخلية» سهر تلامذة ميثرا (ص٢٢١ وما يليها) .

وهكذا يمكننا ان نفهم الاصلاحات المهمّة واعمال البرّ التي تميّز الاشهر الستة الاولى من ملك يوليانوس . فانه في ذلك فاق جميع امبراطرة القرن الرابع الذين ، على نصرانيتهم ، لم يعادل احد منهم يوليانوس في الاقتصاد بدم اعدائه وبدم ابناء رعيّته . ولكن لم تمضِ هذه الاشهر الستة حتى اخذ يوليانوس باضطهاد المسيحيين اضطهاداً منكراً (ص ٣١٠) رافقه طول الستة عشر شهراً الباقية من ملكه . وهو في كل ذلك يودّ اعادة الديانة الوثنية ، الا انه ضلّ السبيل في ما خصّ عصره والطرق التي استعملها . فهل يكون ذلك سبباً كافياً لاحتقار صفات ذكائه السامية وارادته الحازمة (ص ٣٥٠) ؟

وان الميل الذي يشعر به الاستاذ بيديه لبطله يظهر مبالغاً فيه لمن لا يذكر من ملك ذاك الامبراطور الّا آخر قسم منه ، وهو الحافل بالاضطهادات والمعارك في حربه ضدّ الفرس . وفي ما خصّ هذه الحرب ، التي يلذّ وصفها للقراء الشرقيين ، لا يسعنا الّا السؤال هل ان يوليانوس لم يفتقد فيها صواب نظره الذي كان يضمن له انتصاراته في بلاد غالية ؟ كما انه يمكننا ان ننسب الى

ما كان يعتقد به من مفعول تخرّصات الكهّان الوثنيين وادعاءاتهم بمعرفة الغيب، تلك الجرأة المجبولة بالغرور التي دفعته الى الهجوم على بلاد الفرس، والتي حملته على ملاشاة مؤن جيوشه وذخائرها قبل صعوده نهر دجلة. هذا وان لم تكن الكلمة المشهورة: «لقد غلبتَ، يا جليلي!» ثابتة الصحة التاريخية، فان اول صرخة صرخها يوليانوس الجريح: «لقد خدعتني، يا هليوس!» تلخّص بدقّة وصواب حياته واعماله. الاب رينه موترد اليسوعي

Alfred Jeremias: Muhammedanische Froemmigkeit. [*Religionswissenschaftliche Darstellungen für die Gegenwart, Heft* 4] 1930, *Prix* : 1 *M.* 75. *Leipzig, Adolf Klein, Verlag.*

التقوى المحمدية

هي كرّاسة يعرض فيها احد الاساتذة الالمان لموضوعات لا يعرفها الّا بواسطة غيره من المطّلعين. فيخبط في نقل الكلمات العربية وفي ترجمتها مما يدلّ على انه يجهل هذه اللغة. اما ملاحظته، في الصفحة ٣٤، على «البخشيش» فتافهة مضحكة. ه. ل.

P. M. Viaud, O.F.M. : Qoubeibeh, Emmaüs évangélique. *in-8°*, 36 *p.* 4 *planches. Typographie de S^t Sauveur, Jérusalem. Prix* : 10 *p. p.*

قُبيبة وعمّاوس الانجيل

هل ان قُبَيبة هي نفس عمّاوس المذكورة في الانجيل؟ هو مشكل قديم مرّ عليه ستّون سنة من المناظرات ولا يزال من العلماء من يعتقد ان لا صلة بين آثار قُبيبة والقرية الانجيلية. ولهذا رأى المؤلف ان يظهر اسفه لانصراف بعض العلماء الفلسطينيين عن آثار قبيبة، وان يستعين بالعلوم الأثرية، فاستند الى تقرير المهندس غيليمو (Guillemot) الذي ادار الحفريات الاولى في قُبيبة من سنة ١٨٧٣ الى سنة ١٨٧٥؛ والى تقرير الدكتور شيك (D^r Schick) الذي رفعه سنة ١٩٠٤ بعد ان درس الارض الفلسطينية مدة ٥٠ سنة. والتقريران يبرهنان ان كنيسة قبيبة بناها الصليبيُّون حول منزل يهودي عريق في القدم، هو المنزل عينه الذي اظهر فيه السيد المسيح نفسه لتلميذيه، عند كسره الخبز، على اثر قيامته. ويمكن الاستناد ايضاً الى موقع قُبيبة، وهي على ٦٠ غلوة من اورشليم.

Almanach Catholique français pour 1931. ***Librairie Bloud et Gay, Paris.***

التقويم الكاثوليكي الفرنسوي لسنة ١٩٣١

لسنا بحاجة الى تعريف القرّاء بهذا التقويم ، وكثير منهم خبروا منافعه العديدة . وان هذا الجزء الجديد لا يقلّ في شيء عن الاجزاء السابقة . فيرى فيه المطالع ملخص السنة السابقة على جميع مظاهرها ، مع تقويم عام للعالم الكاثوليكي ، ودرس مفيد في الجغرافية الاكليريكية مع خرائط جامعة لابرشيات فرنسة .

P. Renaudin : Les filles de la Charité. [*Biblioth. Catholique illustrée*] 56 *pp., une centaine d'illustrations. Prix* : 5 *f*. 1930. *Paris, Bloud et Gay.*

راهبات المحبة

هو مجلّد لطيف ، جميل ، مزيّن بالصور المتقنة ، يأتي فيه المؤلف على تاريخ راهبات المحبة ، وقد أُسست جمعيتهن سنة ١٦٣٣ ، ويبلغ عددهنّ اليوم نحو الاربعين الفاً منتشرات في جميع انحاء العالم يقمن ، في خدمة الله ، باعمال البرّ والاحسان على اختلاف انواعها . وان من اشهرهنّ الاخت روزالي ، والاخت لابوره التي ظهرت لها الايقونة العجائبية ، والاخت جيلاس المشهورة في بلادنا ، والاخت صهيون ، وكثيرات غيرهنّ ، يظهرن في اعمالهنّ المختلفة ، مثال «الاخت الصالحة» التي تحافظ على فضائلها الجذّابة في كل زمان ومكان . ج . ل

المجمع المصري للثقافة العلمية : الكتاب السنوي ١٩٣٠

دار العصور للطبع والنشر ، مصر ، ١٩٣٠ — ٢٢١ صفحة متوسطة

تألف في مدينة القاهرة مجمع علمي دُعي « المجمع المصري للثقافة العلمية » غايته نشر الثقافة العلمية باللغة العربية ، ووسيلته الى ذلك القاء المحاضرات العلمية باللغة العربية ، وانشاء رابطة للمشتغلين بالعلم من الناطقين بالعربية والمستعربين ، عن طريق الانتساب الى المجمع . وها هو يصدر كتابه السنوي الاول ، وفيه مجموعة المحاضرات التي ألقيت في مؤتمر المجمع لسنة ١٩٣٠ ،

وعددها عشر، عدا خطبة الرئاسة، وفيها المباحث الطبيعية والفلسفية والاجتماعية من التي، وان لم تخلُ من بعض المآخذ من حيث الافكار والنظريات، فان لاربابها الفضل بمعالجتها باللغة العربية. نكتب هذا ونتمنى ان يكون بين المتكلمين بالعربية في البلاد المختلفة رابطة او شبه رابطة ترمي الى توحيد المفردات العلمية العربية، لان التعبير العلمي في مصر مثلاً قد لا يوافق شبيهه في لبنان، وقد يخالف كل المخالفة نظيره في العراق، فعسى ان يعمل على ملافاة هذا الخطر من يقدرون على ذلك. ف. ا. ب.

دليل مختصر لمقتنيات دار الآثار الوطنية بدمشق

تأليف الامير جعفر الحسني

مطبعة المفيد، دمشق (١٣٤٨، ١٩٣٠)

أُسست دار الآثار بدمشق سنة ١٩١٩، تحت حماية المجمع العلمي العربي، فجُمعت فيها العاديات الاسلامية وغيرالاسلامية في بناية المدرسة العادلية الكبرى. والآمال معقودة على ان تساهم ادارة الاوقاف المجمع فيا لديها من العاديات فتقدّمها للمتحف خدمة للعلم وصيانة للآثار الاسلامية من الضياع. على ان محتويات المتحف، على حداثة نشأته، لجديرة بان تلفت نظر العلماء وتستوقف السياح، ذلك ما حمل المؤلف على وضع كتابه. وهذا الدليل يشيد بذكر المحسنين الى المتحف، وهو خير مرشد اليه، ومن محاسنه فضلاً عن صوره انه موضوع باللغة العربية خدمةً لاهل البلاد اولاً، وهم احق من غيرهم بمعرفة ما في البيت. وسوف يدعو انتشار الكتاب ودخول عاديات جديدة في المتحف الى اعادة الطبعة،فنرجو لها حسن الاتقان فلا يشوّه الغلط وجهها الوضاح.

ف. ت.

وثيقة الدزدار وقضية البُراق

اهدى الينا هذه الرسالة (ص ١٤،قطع ٤)صديقنا الدكتور اسد رستم، صاحب كتاب «الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا» (اطلب المشرق

٢٨ [١٩٣٠] ٥٥٦) . عرض فيها للنقد العلمي الخارجي والباطني وثيقة موجهة الى احمد دزدار ، متسلّم القدس ، وموقعة باسم محمد شريف باشا ، ومؤرخة في ٢٤ ر ١ سنة ٢٥٦ . هذا الاثر قدمه الحاج امين الحسيني الى اللجنة الدولية الفاحصة قضيّة البُراق ، وفيه تحديد الرخصة المعطاة لليهود «بزيارة البراق على وجه القديم» فلا «تحصل المساعدة لليهود بتبليطه ويمنعوا عن رفع الاصوات واظهار المقالات» . أأصلية هذه الوثيقة ام مزورة ؟ انعم صاحب الرسالة النظر في نوع ورقها ، وقاعدة خطّها ، واسلوب انشائها ، وطريقة تنميرها ، وتاريخها ، وختمها ، وموافقة النصوص التاريخية لها ، وقال : « نرانا مضطرّين ان نرّجح اصليتها ترجيحاً علمياً تاماً » فافاد اللجنة الدولية وادّى للبحّاثين انموذجاً في النقد عزيز الوجود في اللغة العربية. ف . ت .

منتخبات ادبية : الجزء الرابع

للاب بشير اجيا اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٠ - ٢٠٦ صفحات متوسطة

لا بدع ان قلنا ان « المنتخبات الادبية » احدثت تجديداً حميد الاثر في التعليم العربي العصري فوجّهته في سبيل الثقافة الحقّة ، بما وضعت بين يدي التلميذ من قطع صالحة ملحقة باسئلة متنوّعة تحمله على التفكير والتأمل ، وبما دفعت به الاساتذة الى العمل الشخصي المنتج ليمكنهم ارواء ظمأ تلامذتهم الى المعرفة . وقد تقدّم لنا وصف الاجزاء الثلاثة الاولى ، وها اننا نقدّم اليوم للقراء الجزء الرابع وهو موضوع لتلامذة الصف الثالث من التعليم السنوي . آثر فيه صاحبه من المواضيع ما يوافق السنّ بين الخامسة عشرة والسابعة عشرة ، فيؤهب الطالب للارتقاء الى صف البيان . وقد راعى هذه الفكرة ايضاً في ما خصّ الاسئلة والتمارين ، فجعلها اعدادية للنقد الادبي او التحليل البياني . وهي اجلّ خدمة يمكن تأديتها للآداب العربية خاصة ، وللثقافة الادبية عامّة . ف . ا . ب

كيف يتقدس الاكليريكي

بقلم الخوري الياس الزيناتي

مطبعة يوسف صادر، بيروت، ١٩٣٠ – ٢٢٧ صفحة منيرة

هو من نوع التآليف الروحية المبتكرة في لغتنا، يقرأها الاكليريكي، وغير الاكليريكي، فيستفيد منها دروساً دقيقة في السير على طريق السيد المسيح، ولا طريق للقداسة سواها؛ ويطلع على نتف من آيات الكتاب المقدس ومن اقوال العلماء اللاهوتيين موردة بذوق وموافقة. فنتمنى ان يستفيد الاكليريكيون وغيرهم من هذا الكتاب النفيس، فيزداد عدد النفوس المقتربة من مثال القداسة الاعلى، وهو جلّ ما يتمناه حضرة المؤلف الفاضل.

ف. ا. ب

تقويم الهلال لسنة ١٩٣١

٢٨٨ صفحة متوسطة – مطبعة الهلال، مصر، ١٩٣٠

هو الجزء الثاني من «تقويم الهلال» حوى ما حواه السابق من ذكر التواريخ والمواسم والاعياد، وملخص حوادث العام على اختلاف مظاهرها، واضاف الى ذلك ابواباً جديدة كاحوال الدول المعاصرة، وباب السينما في عام، واكثر من الصور والرسوم، فأتى سفرًا لطيفاً يرجع اليه المطالع فيتسلى ويستفيد.

* الوفاء واللقاء * ١٦ صفحة متوسطة – هي رواية شائقة للاستاذ يوسف ساده، ضمنها حادثة لبنانية باسلوب لطيف.

* حسن علوان الدرزية او الاخت مسيحية الراهبة اللبنانية * ٢٠ صفحة متوسطة – هي المقالة التي نشرها تباعاً في مجلتنا حضرة الفس انطونيوس شبلي اللبناني، طبعها على حدة اجابة لرغبة الكثيرين من القراء.

* عرف البنفسج في حياة الناسك لورنسيوس الجيمري الديراني * ١٦ صفحة متوسطة – وهذه ايضاً من المقالات التي نشرناها في السنة الفائتة من المشرق، طبعها صاحبها حضرة المدبر لويس الحداري الديراني الحلبي اللبناني وقدمها الى سيادة المطران اغوسطين البستاني رئيس اساقفة صيدا، وكلاهما من وطن الناسك البار، ومن الرهبنة التي كان ينتمي اليها.

* ملحق المطبوعات والكتب الموجودة في مكتبة العرب * لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني، عنوانها: ٤٩ شارع الفجالة، مصر.